السنة السادسة عشرة   العدد ٨   آب   ١٩١٣

المشرق

سياحة
في طور عبدين

لحضرة القس اسحق ارملة استاذ الدروس في دير مار افرام بماردين

كنّا نتلهّف منذ زمن مديد الى زيارة طور عبدين وتفقّد آثاره ومعاهده والوقوف على عاديات كنائسه ومعابده والاطّلاع على حالة اديارة وصوامعه وكانت قراءتنا تواريخ امّة السريان تزيدنا ارتياحاً الى قضاء المرغوب. واتّفق ان غبطة بطريركنا الجليل مار اغناطيوس افرام الثاني عهد الينا مهنة التعليم في دير الرهبان الافراميّين بماردين فلم يكد يمرّ علينا العام حتى قيّض لنا الله سبحانه الفوز ببغيتنا اثناء العطلة السنويّة فقصدنا الجبل المذكور في شهر ايلول ترويحاً للنفس من متاعب الدرس وثقة بانّنا نعثر على شيء يستحقّ الذكر ويستوجب استلفات انظار المستشرقين وغيرهم من روّام الاطّلاع على احوال بلادنا. فادركنا والحمد لله شيئاً ولو زهيداً من تلك الآثار شئنا ان نطرف به قرّاء المشرق الاغرّ. وقبل ان نقصّ فذلكة سياحتنا نورد لمحة في تواريخ طور عبدين واحواله

موقع طور عبدين

يشتمل طور عبدين في يومنا سلسلة جبال واقعة شرقي ماردين ويحدّها شرقاً نهر القوريّة وقضاء جزيرة ابن عُمَر وغرباً ماردين وما والاها وشمالاً نهر دجلة وجنوباً نصيبين والجزيرة. وكان يشمل قديماً جبل الازل وباعربايا وجبل قردو. فجبل

الإزل هو الى الجنوب وجبل قورس الى الشمال وباعربايا تتخلّل كليهما. وورد ذكر جبل الازل في مصنّفات المؤرخين وكتب سير النسّاك الشرقيين. واوّل من قصده مار اوجين (+ ٣٦٣) وتلامذته السبعون الذين انتشروا انتشاراً عظيماً وشادوا فيه اديرة فخيمة لعبت في القرون المتوسطة دوراً مهماً يستحقّ الاعتبار. واشتهر فيه عدّة من الكتبة النساطرة واليعاقبة وراجت فيه اسواق العمران الروحي والعلمي مدّة طويلة

جبل الإزل

اشتهر في جبل الإزل رؤساء اديرة ورهبان افاضل ثم تغلّب عليه النساطرة في القرن السادس. واوّل رئيس دير نسطوري في جبل الازل كان باباي النصيبيني العلّامة (+٥٦٦) (١ وابرهيم الكبير الكشكري المعروف بالرئيس الاوّل على جبل الازل وهو الذي حتم على الرهبان النساطرة ان يجزّوا شعر رأسهم على شكل اكليل تمييزاً لهم من الرهبان الساوريّين (اليعاقبة) الذين كانوا يجزّون شعر رأسهم كله (٢ ثم يوحنا رئيس دير المارة واورد يشوع دناح مطران البصرة عنه في كتاب العفة (ع ٤٦ ص٤٦٦) ان احد امراء الارمن حاول ان ينقل جسده بعد موته الى بلاده اقراراً بفضل حازهُ بواسطته في شفاء ابنته فانكر عليه الجبليون ذلك فقطع احد هامته جنوده ومضوا بها الى بلادهم. وظلّ جسده في ديره وشاد الرهبان فوق ضريحه كنيسة فخيمة وسُمّي ذلك الدير دير مار يوحنا الطائي الى يومنا. ومنهم حبيب رئيس دير الازل الذي عاش اثنتين وتسعين سنة ودُفن في دير مار اوجين (٣. ومنهم ربّان سفرا الذي ترهّب في دير مار اوجين وشاد ديراً فخيماً على بعد مرحلتين منهُ ودُفن فيه (٤ واستمرّت اديرة جبل الازل في حوزة النساطرة دهراً طويلاً حتى تغلّب عليها اليعاقبة في اواخر القرن السادس عشر كما سترى في كلامنا على دير مار اوجين ولم يبقَ فيه ذكر للنساطرة بتّةً

---

١) راجع كتاب العفة ليشوع دناح طبع بيجان (عدد ٢٢ و٧١ ص ٤٤٧ و ٤٨٤)
٢) راجع كتاب الرؤساء لتوما المرجي (٤: ١٠ طبع بيجان)
٣) كتاب العفة (ع ٦٦ ص ٤٨٢)
٤) فيه (ع ١١٠ ص ٥٠١)

باعربايا

امَّا باعربايا فتوسّطة بين جبل الازل وجبل قودس. وكان فيها اديرة ومدارس شتى لكلتا الطائفتين النسطوريّة واليعقوبيّة. وذكر صاحب كتاب العفة (ع ٢٥ ص ٤٩٤) عن مار آبا مشيّد دير بطورا ان اصلهُ من باعربايا من قرية حُردفنه ولعلَّها دفنة الواقعة شرقي حصن كيفا وسيأتي ذكرها . وكان آبا وطنيًّا لبكيروثا الذي شاد دير شبوثا في جبل فردون بين بازبدي وباعربايا (١ وروى يشوع دناح ايضاً في كتابه (عدد ٤٧) ان يشوع زخا النسطوري شاد ديرًا فخيماً في باعربايا ونصب فيه معلّمين واقام فيه مدارس وذكر (عدد ١٠٣ ص ٤٩٧) اسم قرياقس ليقف بَلَد (٢ وقال انهُ توجّه الى بلاد باعربايا فرشّحهُ الربّان باعوث بالاسكيم الرهباني . وظلّت باعربايا ابرشيّة نسطوريّة الى عهد يشوع الصوباوي (+ ١٣١٨ (٣

امَّا السريان اليعاقبة فخصُّوا باعربايا بابرشيّة القريان وجعلوها الاولى لاعتبارها كما يستفاد من قوانين المجمع الذي عُقد في عهد ماروثا التكريتي مفريانهم (+ ٦٤٩) اذ ورد فيها ما تعريبهُ (٤:٥ رتّب آباء المجمع اثنتي عشرة ابرشيّة تحت رئاسة مفريان تكريت اولها باعربايا ». امَّا اليوم فقد خُصّ اسم باعربايا بقرية صغيرة في طور عبدين بين كربوران ودير الصليب

جبل قودس

اما جبل قودس فرقعهُ شمال جبل الازل وباعربايا يشمل قرى الصور وقلث والاحمدي والرومانية وغيرها يستوطنهُ قوم من اكراد المحلّميّة واليعاقبة وهو اخصب الجهتين واغناهما موصوف بطيب هوائه وغزارة مياهه وكثرة غلّاته واهلهُ عائشون في السعة بخلاف اهل طور عبدين

١) كتاب العفة (٥١ : ٤٧٤)

٢) بَلَد مدينة في الجزيرة على شاطئ دجلة تابعة لولاية الموصل وهي مسقط رأس اثناسيوس الثاني (+ ٦٨٨) بطريرك اليعاقبة

٣) روبنس دوفال (Duval: *La Littérature syriaque*, p. 402)

٤) اطلب المكتبة الشرقية للسمعاني (٢ : ٤١٩)

ابرشية طور عبدين

كان طور عبدين قبل عهد الانفصال من البيعة الرومانيّة كرسيّاً اسقفياً خاضعاً لمطرانيّة دارا (١ على ما جاء في كتب السلف. فانهُ كان للبطريركيّة الانطاكيّة اثنتا عشرة مطرانيّة لكل منها عدّة اسقفيّات. فكانت المطرانيّة الثانية عشرة دارا ولها ثلاث اسقفيّات وهي جبل سمسون وطور عبدين وبانسمسون (٢ لكنَّ هذا النظام الجليل تبلبل ودارت عليهِ الدوائر في القرون المتوسّطة خاصّةً فأفرز طور عبدين اولًا بابرشيَّة القريان كما نوّهنا اعلاه في كلامنا على باعربايا ثم جُعِل كرسيّاً مطرانياً ثم كرسيّاً بطريركيّاً للسريان اليعاقبة كما سترى في كلامنا عن مذيات

ادبرة طور عبدين

من تصفّح تواريخ امّة السريان والنساطرة واليعاقبة اخذه العجب والانذهال من انتشار الايمان المسيحي في طور عبدين الذي ازدان بالاديرة الكثيرة الكبيرة منذ القرن الرابع. واوّل من نَثّمَ في السيرة النسكيّة في هذه البلاد الشرقيّة كان القديس يعقوب افراهاط الحكيم الفارسي فانهُ ذكر في كتابه البراهين في المقالة السادسة التي صنّفها سنة ٣٣٧ اقرانهُ الرهبان واورد في المقالة السابعة ما شرحُهُ: «كتبتُ اليك في ذلك كلّه ايها الحبيب. لانَّ في عصرنا قوماً ضحوا بحياتهم للعيشة النسكيّة وهجروا الدنيا وانقطعوا للنسك والزهد وغدوا قدّيسين (٣». وكتب ايضاً القديس ماروثا مطران ميافرقين سنة ٤٢١ اسماء جملة من النسّاك والرهبان الذين استشهدوا في عهد شابور الثاني ملك الفرس (٣٠٩–٣٧٩ م)

بيد ان الامام الذي برّز في الرهبانيّة الشرقيّة هو اوجين المعروف بآون (ܐܘܓܝܢ) المتوفى سنة ٣٦٣ غادر مصر بعد ان تتلمذ للقديس انطونيوس ابي الرهبان في سبعين تلميذاً حتى وصلوا جبل الإزل وقضوا ثلاثين سنة في مغاور

---

١) وقد رمّم دارا ملك الروم انستاس فدُعيت باسم انستاسيوبوليس (Ἀναστασιόπολις)

٢) عن نسخة سطرنجيلية قديمة تخصّ دير الزعفران

٣) اطلب ميامره (Patrologia Syriaca, *Aphraates*, p. 355)

وكهوف وصوامع ضنية فلما بلغوا الثلاثمائة والخمسين جعلوا يطوفون ويشيّدون الاديرة. وللقارئ ان يعرف عددها ووصفها اذا راجع خاصةً كتاب العفّة وغيرهُ من كتب سير النسّاك. وذلك ما دعا الاهلين الى ان يطلقوا على جبل الازل اسم طور عبدين (ܛܘܪ ܥܒ̈ܕܝܢ) اعني جبل عبيد الله. ولم يكتفِ هؤلاء التلامذة المباركون بانشاء الاديرة في هذا الجبل بل وصل منهم نفر صالح الى الموصل والعراق وبلاد الفرس. على ان شابور لمّا اعجبتهُ خصالهم الحميدة وخلالهم الفريدة واندهل من العجائب الجمّة التي كان الله يجريها على يدهم أطلق لهم الحريّة التامّة في مملكته فذهبوا اثنين اثنين حسب مشورة رئيسهم القدّيس وبشّروا بالايمان المسيحي وصنع الرب على يدهم خيراً كبيراً. وشادوا في كل مكان يشوه اديرة وكنائس ومعابد ومدارس ولم يضنّوا باجود ما عندهم في سبيل خدمة إلههم حتى تأرّج عبير اخبارهم في الدنيا ونالوا الغاية القصوى

امّا اليوم فينكمش الفؤاد غمّاً وحسرةً لدى مشاهدته آثار تلك الاديار الدوارس وما صارت اليهِ من الانحطاط والذلّة بل العدم. ولا مرية انّ من عمي مذهبهُ فسد مشربهُ. وقد ذكر يوحنّا مطران ماردين اليعقوبي (+١١٦٦) ما تعريبهُ: «لم يبقَ في عهده اعني يوحنّا المذكور في الشرق اعني في طور عبدين ولا في ابرشيّة ماردين راهبٌ واحد ولم يعد يعرف احد كيف يكون الرهبان. فهو نشط لتجديد الاديرة وتعميرها وحثّ القوم على الانقطاع اليها. فشاد اديرة شتّى في طور عبدين وفي ماردين (١» اذ كانت قد تصدّعت منذ مائتين او ثلاثمائة سنة (٢

كنائس طور عبدين

وما عدا الاديرة الكثيرة العظيمة ففي طور عبدين كنائس جميلة واسعة تباري افخر الكنائس وافخمها. وكانت على طرز كنائس القرن الخامس والسادس في بنيانها وضخامة جدرانها اذ كانت معقلاً حصيناً وملاذاً امينآً للاهالي يتحصّنون فيها من غارات الاعداء. وممّا يتحرّق لهُ الفؤاد اسفاً وحسرةً ان اغلبها قد عفت رسومها

١) راجع المكتبة الشرقية للسمعاني (٢: ٢٢٠)
٢) المكتبة الشرقية (٢: ٢٢٨)

وأمحقت آثارها ولم يبقَ منها سوى حجارتها الضخمة. كل ذلك لمنازعات قوميَّة ومدنيَّة ثارت بين الجيليين والأكراد فشغلتهم عن الاكتراث لامور دينهم ولُبدت في قلوبهم ظلمات جهل حالكة حتى غدوا في القرون الاخيرة قوماً لا يعرفون من الدين الَّا ظواهره وعجزوا عن الاعتناء بالتهذيب والتعليم الروحي والزمني. فيا سبحان الله ما افظع الجهل والاستبداد وما اشنع المروق من الدين القويم

وقائع طور عبدين

طرأت على طور عبدين طوارئ شتى وطمست معظم آثاره وبدِّدت كتبهُ وعتائقه وافقدتهُ بهاءهُ ورونقهُ. فكان الفرس تارةً وطوراً الروم يغزونهُ ويدوِّخونهُ حتى ظهر الاسلام فملكوه. ثم تغلَّب بنو حمدان العرب التغلبيون وكان جدّهم حمدان ابن حمدون التغلبيّ الرَّبعي فسادوا بلاد الجزيرة سنة ٨٦٨. وفي عام ٨٧٢ اوقع مسرور البلخي بالأكراد اليعقوبيَّة سكان طور عبدين وما والاه فهزمهم. ثم أُجبروا على اتباع الاكراد في اللغة والمذهب. وذلك انهُ في عهد الخليفة المأمون (٨١٣–٨٣٣) لمَّا ظهر الأكراد في كردستان وفي مقدمتهم المهدي المعروف بالمقنَّع لوضعهِ برقعاً على وجهه هذا كان يدَّعي النبوَّة فسار هو واصحابه الى بازبدى وطور عبدين وتغلَّبوا عليها ونهبوا الاديار والكنائس. فسيَّر المأمون الامير حسناً في جيش فقهرهم وهزمهم من دير قرتمين. ولمَّا ان قُتل المهدي صاحبهم اقاموا بدله هرون ففتك به جند الخليفة فسيَّروا بدله بابك ومنهُ تسلسل الأكراد (١ وهم قسمان قسم يعرف بالرياح يسكنون القرى وقسم يُعرف بالسياه يقطنون الخيم. وكلهم دانوا بالاسلام على مذهب عليّ (٢

وذكر ابن الاثير (٩: ١٤) في حوادث سنة ٣٧٤ هـ (٩٨٣ م) ان باذاً المرواني واسمهُ ابو عبد الله الحسين بن دوستك الكرديّ لمَّا قوي امره واشتدَّت شوكته خافهُ عضد الدولة صاحب الموصل فحضر عنده. ولكنهُ لمَّا رأى ما هو عليه

١) راجع تأريخ المؤرخ الرهاوي السريانيّ الذي طبعهُ غبطة السيّد اغناطيوس افرام الرحماني في الشرفة (ف ٢١٤ ص ٣٣٦) وتاريخ ابن العبريّ طبع الاب بيجان (ص ١٤٤)

٢) شرح مجاني الادب (ص ٤٢١)

ديانة طور عبدين

كانت النصرانيّة شائعة في طور عبدين ثم تغلّبت النسطوريّة واليعقوبيّة ثم دان اغلبهم بالاسلام ولستمرّ منهم قسم صالح حافظ على الاعتقاد بالمذهب اليعقوبيّ الزاعم بالطبيعة الواحدة في المسيح. وجاء في تواريخ السريان اليعاقبة انه في عهد البطريرك اسمعيل (+١٣٦٦) جحد نفر كبير من يعاقبة طور عبدين الايمان المسيحيّ ودانوا بالاسلام وعُرفوا بالمحلميّة وتبعهم قوم من قرى ماردين كرشل وقباله ومعصرتا وغيرها. كلّ ذلك لسوء تصرّف البطريرك المذكور لانهُ في عهدهِ ادركت طور عبدين مجاعة شديدة اجبتهم على نقض الصوم فاوفدوا قوماً اليه يستمنحونهُ الاذن في ذلك فأبى فألحوا في الطلب فلم يكترث لهم فأيسوا من خلاص نفسهم واتفقوا على هجر المذهب اليعقوبيّ والتدين بالاسلام

وأضيف الى ذلك ان المذهب البرتستنتي دُسّ فيما بينهم في القرن السابق ولا سيما في مديات حاضرة طور عبدين. اما السريان الكاثوليك فمنذ اواسط القرن التاسع عشر افرغوا الوسع في اعادة اليعاقبة الى حضن البيعة الجامعة وفتحوا الرسالات في مديات وباته وكربوران وباقسيان وقلث وحاح. والأمل معقود ان اولئك القوم يعودون الى ايمان آبائهم وأجدادهم فتجدد رسومهم الدائرة وطقوسهم الدارسة وعباداتهم الطامسة

لغات طور عبدين وصنائعه

اما اللغة الشائعة في طور عبدين فهي السريانيّة مكسّرةً امتزجت فيها كلمات كرديّة وعربيّة. والبعض لا يتكلّمون الّا بالكرديّة فقط وفي مديات يتكلمون بالعربيّة والسريانيّة والكرديّة. والكرديّة اعمّ من كلتا اللغتين. وقد صنّف الاب باريزو (Dom Parisot) وغيره كتباً في لهجة طور عبدين وخواصّها (١

وليس في طور عبدين صناعة مشهورة يحضاون منها كفافهم فان قلّة حركتهم باعثٌ قويّ الى اشتداد فاقتهم. واغلبهم يتعيّشون من ارزاق الاديرة والكنائس. ومنهم قوم دأبهم الفلاحة وحرث الاراضي وغرث الكروم. وفي بعض القرى نفرٌ

---

١) راجع المشرق (١٥ : ٧١٠)

يشتغلون بالحياكة ونسج الأبنة وغيرها وقوم يشتغلون بالفخار والسكاكين وما شاكلها

عوائد آل طور عبدين

ان لكلّ قرية تقريباً شيخاً يراجعونه ويسمّونهُ مختارًا او كهيا . ولكلّ قضاء آغا . ففي كفرجوزة مثلاً آغا له الحكم على خمس او ست قرى . وغيره في عرناس وغيره في مزيزخ . وللمحلّمية اميرٌ يقطن في كفرحوّار . وغيره في حَبَسْنِيه في حوزته نحو خمس عشرة قرية . وغيره في آحر وله خمس او ستّ قرى وقس عليه سائر القرى

وعند ما يولد الولد يعمدونهُ بعد ثمانية ايام او اقلّ وفي ذلك يخالفون طقس اجدادهم الذين كانوا قضوا بالعماد في عيد الدنح وسبت النور فقط

امّا الزواج في طور عبدين فعند النصارى يتزوّج الشابّ في عمر العشرين بنيّف والفتاة في السنّ العاشرة الى السابعة عشر وفي بعض القرى يتزوج الشاب بابنة اكبر منهُ سنًّا . والمحلّمية في ذلك يقتدون بالنصارى . واغلبهم يحتفلون اعراسهم مدّة ثلاثة ايّام والآغوات سبعة ايّام . وفي بعض القرى يحمل الاهلون الهدايا من المآكل الى ذوي العرس . وقبل العرس ببضعة ايّام ينصبون على سطح دار العريس رايةً يعلوها منديل مارْن الشكل دلالة على العرس . ولمّا يحضر القسّ ليكلّل العروسين ينصرف الحضور كلّهم ويُغلق الباب ولا يبقى الّا الكاهن والعريسان والقربان اعني العرّابين وفي يد احدهما سيف او خنجر مسلول . ويقيمون مراقباً على سطح الدار يصدّ الناس عن الدخول ريثما تنتهي بركة الاكليل

واذا مات احدهم كائناً من كان يغسلون جسمهُ بماء حارّ وصابون ويكفّنونه ويحملونه الى الكنيسة بالبكاء والعويل فيجنّزهُ الكاهن ويدفنونه . والشاب عند موته يطلقون البنادق تفجّعاً عليه . ويقام للميت مناحة ثلاثة ايام متتالية يحملون في غضونها الى أهله اصناف المآكل . واذا سار الاهالي من قرية الى اخرى ليعزّوا آل الفقيد قصدوا ضريحه اوّلاً واطلقوا فوقهُ العيارات ثم اقبلوا الى دار الميت ليعزّوا آلهُ . وقلّما يتصدّقون بحسنات قداديس على ارواح موتاهم والحسنة لا تتجاوز القرش او القرشين

وفي صومهم يتبعون طقس البيعة السريانية اليعقوبية وله مزيد الاعتبار عندهم فانهم يفضّلون احياناً سفك دم القريب على مخالفته

ولساقفة طور عبدين وكهنته ورهبانه يجولون البيوت والمزارع يجمعون البواكير ويسمّونها الزدق (ܙܕܩܐ) قوتهم وقنانيهم . ويتلون صلوات سريانية لساقة بالعذراء مريم كي تبارك زروعهم وغلاتهم

ومن عوائدهم المقيتة القَسَم بالباطل باسم الله وقديسيه فانه فاشٍ بينهم فشواً فاحشاً وهي عادة جاروا فيها المسلمين

ويحافظون على البطالة ايام الآحاد ولكنهم يشتغلون اغلب الاعياد ولا سيما في الصيف . والرجال منهم يحضرون القداس ايام الآحاد اما النساء فالعجائز فقط . ومن عوائدهم السيئة التكلّم بافراط والصياح والجلبة في الكنائس . وسرّ الاعتراف عندهم لا اعتبار له وقلّ من يعترف مرّة في العام . وفي بعض الاحايين يتلو الكاهن صورة الحلّ على نفرٍ منهم سويةً . اما تناول القربان المقدس فغير شائع عندهم واذا تناول احدهم خرج حالاً من البيعة دون شكر اذ يجهلون الصلوات حتى الصلاة الربية والسلام الملاكي وقانون الايمان لعلّة الدارس لو اذا شئت قل لعدمها . فهم متعلقون باهداب الطقسيات وشواردها لا يفقهون شيئاً من مكنونها ومضمونها . وقلّما يعتني كهنتهم السذّج بالوعظ والنصح والحثّ على الفضائل المسيحية . ولا ريب انهم اذا استمرّوا هكذا ضلّوا سبيل الصواب وآل امرهم الى البوار والخراب وفشا فيهم الجهل والغلظة واشتدت طباعهم فظاظة وخشونة . اعاذنا الله من ذلك

وها اننا في سياق كلامنا نورد شيئاً مما ألمعنا اليه في هذه المقدّمة وعلى الله الاتكال في كلّ الاحوال

٤ سفرة من ماردين الى الصور

غادرنا ماردين على بركة الله في ١١ ايلول ١٩١٢ يصحبنا شقيقنا القسّ يوسف ومررنا بغياض زاهية ورياض انيقة ولما ان وصلنا الى خشخوكه حيث المياه الصافية جلسنا لنستريح وأجلنا النظر في وادي بيت قديش (ܨܒܥܐ) امامنا ورأينا بساتين ماردين الشهيرة كباسانس والزّتم ووادي شبا الذي وصفه صفيّ الدين الحلي التبعي (١٢٨٧–١٣٤٠) في عهد الملك الصالح الارتقي بقوله :

او كان بالجوسق النعمان ثاوٍ فكم من جوسق لك بالشمين مسور
او مرَّ عادُ بن شدّادٍ بجنته قام يترع فيها سن منزور

ولحنا ايضاً شمالي قلعة ماردين ووادي الصفا الذي ذكره صفيّ الدين ايضاً قائلاً :

حبّذا هل وادي الصفا قصدنا حيثي وولّى الهمّ مرتحلا
ولنا بها والشمسُ في اسدٍ تبطّا فخلنا برجها الحمَلا

والتفتنا الى يمينا فشاهدنا جنّات قباله ونهرلسي وبنابيل وباقرقره ومجر الطور ودشل وهي على ما كانت عليه من الرونق والبهاء في عهد صفيّ الدين القائل

احبيتِ يا ريحُ بنا خبرٌ مقبورِ من نفحة الصور ام من نفحة الصورِ
طيُّ النسيم بنشرٍ فيه منشورِ ام روضِ دشلَ اهدى عطر نفحتهِ
والحورُ مقصورة بين المقاصيرِ وقائلٍ اذ رأى الجناتِ عاليةً
مقالَ منبسط الآمالِ مسرورِ (١) لمَن ترى الملك بعد الله قلت لهُ

ولا جرم ان ماردين كانت تحاكي اخصب البلاد وابدعها في عهد ملوكها الارتقيين وهذا ما حمل صفيّ الدين ان يضارعها بدمشق الشام بل يفضّلها عليها بقوله :

يا مَن يقايس ماردينَ بجلّقٍ بَعُدَ القياس واين منها جلّقُ
لم تُذكر الشهباء في سفحِ العلى الّا كَبَتْ شقراؤها والأبلقُ
كم ماردين لماردينَ تواثبوا ومن المحالِ طلابُ ما لا يُلحقُ

واراد صفيّ الدين بالشهباء قلعة ماردين لا مدينة حلب وقد ذكرها بهذا الاسم في ديوانه مرارًا فمن ذلك قوله :

ولا تُقِم بالموصل الحدباء انّ شهاب القلعة الشهباء
يحرق شيطان صروف الدهرِ

وقد صرّح صفيّ الدين بجودة مناخ ماردين وطيب هوائها وعذوبة مائها وآنس من نفسهِ ميلاً شديدًا الى البقاء فيها وخيّرها على الحلّة وطنه وعلى غيرها من البلاد الكثيرة التي شاهدها فقال :

جُبْتُ البلاد ولستُ متّخذًا بها سكنًا ولم ارضَ الثريا مسكنا

---

١) يريد الملك الصالح صاحب ماردين ١٣١٢ — ١٣٦٣

حتى انثنتُ ياردين سيّتي فهناك قال لي الزمان: لك المنا (١

(باقاوا) ثم استأنفنا السير الى قرية باقاوا فيها البساتين والمياه الغزيرة يثويها نفرٌ من اليعاقبة لهم كنيسة حقيرة. ولم نرَ فيها شيئاً من الآثار فغادرناها الى بركة عقبة الميزوان حيث كان قطّاع الطريق يتعرّضون للسابلة ويسلبونهم امتعتهم. عند عصر النهار يمّمنا بلدة الصور

(الصور) كانت الصور مدينة حافلة بالنصارى وجاء في سيرة جبرائيل رئيس دير قرتمين ذكر يعقوب مطرانها الذي حضر دفنه جبرائيل عام ٦٦٨ وقبله اشتهر قرفوس اسقفها الشهيد الذي ورد ذكره في كلندار الربّان صليبا للاب ب. بترس ليسومي البولندي (سنة ١٩٠٨ ص ١٦٦) في اليوم الثالث من كانون الاول. كان يوحنا بن شبله الارديني اسقفها (١٤٧١–١٤٨٤) فارتسم بطريركاً لليعاقبة باسم يوحنا الثامن عشر. وخلفه في الاسقفية سويرا يشوع ابن القس يوحنا القلثي الذي سيم بطريركاً ايضاً سنة ١٥٠٩ بعد وفاة نوح البقوفاوي (٢ وفي عهد بطريركية بطرس الرابع (١٥٧٦ – ١٥٩١) شقيق البطريرك نعمه كان اخوه مينا اسقفاً على الصور واعتنق الايمان الكاثوليكي المقدّس ثم هجره وعاد الى المذهب اليعقوبي

غير ان اغلب اهالي الصور وما جاورها كانوا منذ القرن الرابع عشر قد دانوا بالاسلام في عهد اسميل البطريرك (+١٣٦٦) السبب الذي ذكرناه في التوطئة وفي يومنا ليس بينهم غير مسلمين يسودهم بيكوات وفيها قائمقام ايضاً ونفر من النصارى يقصدونها للتجارة. وتكثر في الصور اشجار الحور والزروع على اختلاف اشكالها وفيها نهر جار ينبجس من نواحي قلث ويسقي اراضيها

ويعلو البلد قلعة حصينة تطلّ عليه وعلى جهات قلث والاحمدي وفيها اشجار لوز وغيره وآبار وآثار دور يحيطها سور محكم. قيل انّ القلعة كانت تتوسط البلد. وتجاه البلد تلّ عالٍ فيه آثار دير كان يُعرف بدير مار يوحنا

وفي البلدة جامع كان يُعرف بجامع قرفوس الشهيد المذكور سابقاً لكن بابه حديث البناء وقد شيد سنة ١١٩٥ هـ (١٧٨٠ م) ورقينا الى منارته بستٍّ وثلاثين

١) راجع مجاني الادب (٥ : ١٢٤)
٢) راجع الزهرة الزكيّة في البطريركيّة الانطاكيّة (ص ٨٠ و٨٢)

درجة تعلوها قبة ذات نقوش لطيفة . وتمهّدنا في الصور بيعة امّ السبعة لأنها كانت على اسم الشهيدة شموني واولادها السبعة . أمّا اليوم فقد أحيلت الى جامع وهي مبنيّة بحجارة ضخمة لها ثلاثة اسواق في وسطها قبور للمسلمين وفيها تابوت مجلّل بالاقمشة يحجّ اليه المسلمون

٣° من الصور الى قلْث

ولمّا ابتلج صباح ١٢ ايلول سرنا في بريّة خصيبة الى قرية (الاحمدي) واهلها كلّهم مسلمون وفيها كنيسة شادها يوحنا مطران ماردين (+١١٦٦) ولم يسمح لنا الاهالي ان ندخلها : فقصدنا (قالوق) وفيها آثار كنيسة كان يوحنا المذكور قد شادها ايضاً (١ وانتهينا الى (الرومانيّة) فشاهدنا فيها كنيسة كبيرة صبرت على نوائب الزمان وبالقرب منها حجارة كثيرة تشير الى القرية التي كانت الى جانب الكنيسة وفي يومنا لا يوجد فيها من ينفخ ناراً . امّا الكنيسة فهي ذات ثلاثة اسواق ولجنا بابها الجنوبيّ فلمحنا بابين كبيرين فوق احدهما حجرة ضخمة مرسوم فيها الصليب المقدّس وحجرة الباب الثاني مشوّهة . ثم دخلنا سوقها الثالث وفيه اربعة اروقة بسدّ وفي الجهة الشرقيّة رواقان منفصولان بسدّ وفي السدّ باب يتصل بالمذبح يعلوه ثلاث كوّات الى الشرق حسب الطقس اليعقوبيّ . وطول الكنيسة ثلاثون ذراعاً في عرض عشر اذرع تقريباً . وبعد ذلك عدنا من الرومانيّة الى قلْث والنهر على شمالنا فوافيناها عصر النهار وحللنا في كنيستنا السريانيّة التي شادها السيد يعقوب متى احمر دقنه سنة ١٨٨١ واستضفنا حضرة القسّ بولس هيمو تلميذ الحوري افرام رئيس ديرنا

(قلْث) كانت قلْث حصناً منيعاً وكان فيها اسقف خاضع لبطريرك ماردين وفي عهد يوحنا الحادي عشر (١٠٤٢-١٠٥٧) خصّت بكرسي المفريان (٢ وسنة ١٧٨٢ تألّب في قلْث يعاقبة طور عبدين واقاموا لهم بطريركاً في بيعة مار يوحنا رجلاً يقال له متى الثعلب فبعد رسامته انقلب راجعاً الى ماردين وناصب البطريرك الشرعي مار

---

١) المكتبة الشرقيّة (٣ : ٢١٧) ومجلّة المشرق (١٢ : ٦٧١) حيث وردت اخبار ايايا ابن الكريم

٢) تاريخ الرهرة الركبيّة (ص ٥٢)

انا طيوس ميخائيل جروه وسجنهُ اربعين يوماً ثم فرّ الى الوصل (١ وتوفّي وبي بسنة ١٨١٧

وشرقي قلث دير فخم على اسم القديس آباي تلميذ مار اوجين وكان حافلاً بالرهبان حتى ان السريان يذكرون في كلندارهم في ٢٠ ايلول « عيد القديسين بدير قلث بجبل تورس » وفي غرة شباط يعيدون « لاسطينا اعني بيضاء ام القديس آباي » (ܥܘܗܕܢܐ ܕܝܠܗ ܕܩܕܝܫܐ ܡܪܝ ܐܒܝ ܘܕܣܗܕܐ ܐܚܐ ܘܚܒܪܘܗܝ) (٢

ومن بقايا دير مار آباي التي لم تطمس يطّلع الراقب على عظم شأنه وضخامة بنائه وحسن موقعه وسعته. فانّ طوله تسعون ذراعاً في عرض ستين وقد تقوّض كله ويشاهد على بابه الغربي حجر مكسور على شطرين منكّس يشتمل احدهما على ثمانية عشر سطراً والثاني على اثني عشر سطراً بالحرف السطرنجيلي قرأنا فيه اسم داود ولعلّه البطريرك داود (١٠١٩–١٠٢١) ورأينا حجراً ثانياً على الباب الجنوبي رقم فيه بالسطرنجيلية :

ܕܝܪܝܣ ܒܪ	ديريس ابن .
ܟܠ ܕܩܪܐ ܢܨܠܐ ܥܠ ܟܠ	كل من يقرأ فليصلِّ على كلّ
ܡܢ ܕܐܫܬܬܦ . . .	من اشترك . . .

والفينا امام الدير الى جهة الجنوب حوضاً ماشاً كانت تنحدر اليه المياه من صومعة محودوطا. ودوّن ابن العبري في تاريخه السرياني المدني (ص ٣٢١) ان نجم الدين سلطان ماردين (١١٣٥–١١٧٦) لما ابتُلي بالمرض ظهر له مار آباي في الحلم واوصاه بالرفق والاحسان الى النصارى. فانقلب نجم الدين عمّا كان عليه من الخشونة والعسف وتودّد الى النصارى وجعل يهتمّ بصيانة بيعهم ويسعى في تشييد كنائسهم وترميم اديرتهم . وكان يجول في الادية انتجاعاً للصحّة ونال الشفاء بصلوات مار آباي. ولعلّه بعد شفائه رمّم دير مار آباي اقراراً بفضله

ثم انّنا تفقّدنا داخل بيعة الدير فصادفنا في جهتها الشرقيّة غرفة مربعة فيها مذبح

---

١) الزهرة الزكيّة (ص ٦٢)

٢) كلندار الرّهان مليا للاب بترس اليسوعي (BHO, 174, 195)

صغير ورواق ظريف . وفي الناحية الجنوبية حجران كبيران في كلّ منهما صورة سبع ناتئة وفي الجهة الشرقيّة الشماليّة غرفة فيها سرب لم نعثر فيها على شيءٍ من الكتابات قيل انها كانت قديماً مقبرة للرهبان

وشمالي دير مار آباي صومعة مار ثاودوطا فيها سربٌ ايضاً وستّ مغاور وفيها ماءٌ جارٍ . وشرقي شمالي قلث دير صغير لمار ديمط يتبعهُ على مسافة ربع ساعة ديرٌ آخر لمار شاباي [١] داخلهُ مغارة فيها ماء .

واعلم ان الاديرة المذكورة آنفاً كانت قد تهدّمت على عهد يوحنا مطران ماردين فاهتمّ بتجديدها في جملة الاديرة والكنائس الكثيرة التي شيّدها ورمّمها واليك ما تعريبه نقلاً عن العلّامة السمعاني [٢] : « تجدّدت هذه الاديرة في ابرشيتي . وهي دير مار آباي ودير مار ثاودوطا القدّيسين الجليلين الشهيرين صاحبي العجائب » . . . وقال ايضاً [٣] : « ووقف المطران يوحنا لدير مار آباي الشهيد رحوين . ويسمى هذا الدير دير قلث موقعهُ بشرقي الصور »

امّا دير مار ديمط فهو مبنيٌ على اسم ديمط الفارسي ولهُ في قورس عيد في ٢٠ ايلول [٤]

ثم زرنا كنيسة قلث الكبرى التي لستوفي وصفها الاب لويس شيخو اليسوعي في المشرق (١٥ : ٨٠٨) وايّد أنها من كنائس القرن الخامس او السادس وهي كسرب يتوغّل فيها في قلب الارض ولها ثلاث اسواق تسندها السواري وتزيّنها بعض التصاوير المطموسة . وهي مسقفة بالآجرّ الاحمر وفيها مواليد ملتصقة بالجدران وتحت رواق المذبح الى الناحية الشماليّة رأينا هذه الكتابة فصوّرناها بالقلم اذ لم يتيسّر لنا ان نأخذ رسمها ولم يُقرأ منها الّا لفظتها الاخيرة بمعنى « سيّدي »

CSѠNHKVPIE (!)

وفي شمالي الكنيسة مزار يزعم الاهلون ان فيه ضريح سمعان القناني احد الرسل

١) كان شاباي احد تلامذة مار اوجين : بيجان سير القديسين (٣ : ٤٧٢)
٢) راجع المكتبة الشرقيّة (٢ : ٢٢١) ٣) فيها (٢ : ٢٢٧)
٤) راجع سير القديسين لبيجان (٦ : ٥٢٦ و٥٤٣) وكلندار الاب بطرس البولنديّ اليسوعي (BHO, p. 196)

الاثني عشر وفي كتبهم الفرضيَّة السريانيَّة ابيات شتى تذكر سمعان القناني يوم عيدهِ في ١٠ ايار وتروي عنهُ انهُ اتى الى جبل قورس وافتخر بالايمان المسيحيّ فيهِ

امَّا الكنيسة فهي مشيَّدة على اسم مار يوحنا الديلميّ (١ تلميذ اوجين رئيس النُّسَّاك (بيجان سير القديسين ٣ : ٤٧٣) قصد مار اوجين من الوصل واتُّشح بالاسكيم الرهبانيّ ولمَّا تفرَّق تلامذتهُ في البلاد ليبشّروا بالانجيل سار يوحنا الى بلاد الديلم في فارس ونصَّرهم. وقد وردت سيرة اعمالهِ في الفهرس العربيّ من مخطوطات مكتبة باريس (Bibl. Nat. n° 281) . وورد في كتاب العفَّة ليشوع دناح مطران البصرة (عدد ١٧ وص ٥٠٤) من طبع الاب بيجان ان يوحنا الديلميّ شاد ديرًا في جبل فارس قرب ارَّجان. وان مسقط رأسهِ هي الحديثة لا الموصل وانهُ سُبي الى بلاد الديلم وانهُ شاد ديرين ولما توفي دُفن في دير السريان

وفي هذه الكنيسة بعض المخطوطات السطرنجيليَّة والسريانيَّة منها انجيل حسب الترجمة الحرقليَّة مكتوب على ورق والفصل الاخير منهُ وهو الحادي والعشرين من انجيل يوحنا مكتوب بحروف ذهبيَّة وملوَّنة. كأنَّ الكاتب فعل ذلك اعتبارًا لرئاسة بطرس وتسليم السيد المسيح لهُ رعاية الخراف والكباش والنعاج . واليك تاريخ الانجيل :

ܟܪܘܙܘܬܐ ܕܫܠܝܚܘܬܐ ܗܝ ... ܣܠܩ ܘܫܠܡ ܘܗܘܐ ܫܘܠܡܐ
ܗܘܐ ܕܝܢ ܫܘܠܡܗ ܕܗܢܐ ܐܘܢܓܠܝܘܢ ܗܝ. ܒܫܢܬ ܐܠܦ ܘܐܪܒܥܡܐܐ

١) الديلم طائفة من الفرس كانوا يسكنون شيراز واذربيجان واردبيل شمالي غربي فارس لعبوا دورًا مهمًّا في الحروب مع الاتراك في القرون المتوسطة. وذكر ابن الاثير سنة ٨١ ﻫ (٧٠٠ م) ان قزوين كانت ثغرًا للمسلمين من ناحية ديلم والى جم المسلمون بلاد عقيبًا ثم اغارت الديلم وقهروا المسلمين (٤ : ٣٢٢) . واورد ايضًا في تواريخ سنة (٢٠١ – ٨١٦) ان عبدالله والي طبرستان افتتح البلاذر الشيرز من بلاد الديلم وأسر ابا ليلى ملكهم (٦ : ١٢٤) وسنة ٣٠٩ (٩٢١ م) سار ليلى بن النعمان الديلميّ من جرجان الى الدامغان وقتل من اهلها مقتلة عظيمة وعاد الى جرجان . ثم سار نحو نيسابور فقبض عليهِ وقُطع رأسهُ ونُصب على رمح وحمل رأسهُ الى بغداد (٨ : ٤٦) . وسنة ٣٨٤ ملك الديلم الموصل وانهزم باذ الكردي (٩ : ١٦) . وسنة ٣٨٥ استظهر الديلم على الاتراك ببغداد وكانوا خمسة عشر الفًا . وسنة ٣٧٩ (٩٨٩ م) وقعت الفتنة في شيراز بين الاتراك والديلم (٩ : ٢٥) وفي بغداد ايضًا (٩ : ٢٢) الخ الخ

ܦܠܚܘܬܐ ܡܫܒܚܬܐ ܕܗܘܐ ܠܠܐ ܕܚܝܘܬܐ ܕܢܦܫܢ ܗܘܐ ...
ܕܐܘܢܓܠܝܘܢ ܡܢ ܡܪܢ ܡܫܝܚܐ ܡܫܝܚܬܐ ܕܐ ܐܒܘܢ ܕܡܬܩܪܐ
ܕܐ ܘܗܘ ... ܐܬܟܬܒ ܒܡܕܝܢܬܐ ܒܪܝܟܬܐ ܕܡܪܕܝ ܢܛܝܪܬ ܐܠܗ
[ܐܒܪܗܡ] ܕܝܕܝܥ ܠܒܪܘܬܐ ܕܘܗܝܒ ܢܘܣܚ ܕܟܬܒܐ. ܒܕܝܪܐ ܕܡܪܝ ܚܢܢܝܐ
ܡܢܝܢ ܒܫ ܫܢܬܐ ܕܡܢ ܐܪܥܐ ܕܡܬܩܪܝܐ ܛܘܪܟܦܢܝ

« ... اجهد في اشكتاب هذا الكنز القيم حياة انفس الانجيل المقدّس ابونا مار اغناطيوس البطريرك الجليل الذي صار سبباً لكتابة كهذه ... وهو من مدينة ماردين المحمية ابن ابرهيم المعروف بابن وُهَيب . نُسخ الانجيل في دير مار حنانيا (الزعفران) سنة ١٦٢٦ (١٣١٥ م) لكنيسة مار يوحنا بقلث نسخة الشماس مسعود بن جرجس الارزي التركافي »

وجاء في اوّل صفحة هذا الانجيل بحروف كرشونيّة ما نصّهُ :

« سنة ١٩٨٣ (١٦٧١م) «الذي يأخذ الكتاب محروم محروم محروم محروم من فم الاب محروم محروم محروم من فم الابن محروم محروم محروم من فم الروح القدس محروم محروم محروم ومن فم راس جمجمة شمعون بطرس محروم ومن فم العذراء ومن فم الاثني عشر ومن فم الاربعة الانجيلية ومن فم الاثنين والسبعين ومن فم الثلاثمائة والثمانية عشر اباء نيقية »

ووقّع على ذلك بخطه المطران متى بن صالح وقال : « قد صرت مطراناً على مار آباي سنة ܐܚܟ اي ١٦٢٣ يونانية (١٣١٢ م) وسنة ܐܚܥ اي ١٦٧٢ (١٣٦٣ م) كتبت هذا الحرم

وفي الكنيسة ايضاً كتاب حسّايات نُسخ سنة ١٤٨٧ م هذا تعريب ما كتبهُ الناسخ في آخره :

« انتهى كتاب الحسّايات سنة ١٤٨٧ م في الجبل في دير مار آباي بجبال قورس عند قلث التابعة لقضاء السور . في عهد اغناطيوس يوحنا ١٨ ابن شيلَه (+ ١٤٩٢) البرطلّي . وباسيليوس القربان ابن اخت البطريرك خلف (+ ١٤٨٤) وساويرا القلثي مطران كرسي دير مار آباي الجليل الذي في السور بقلث ... كُتب الكتاب لكنيسة مار يوحنا الديلمي بقرية قلث . نقلهُ من ثلاث نسخ مصحّحة ومدقّقة يعقوب المَزوَق (١ الراهب ابن عبدالله من قرية الاحمدي وكان مسكنهُ في دير مار موسى الحبشيّ تاج الشهداء الكائن في جبل الدخان . صلّوا على الرهبان المحبوبين القاطنين دير مار آباي الذين اسكن معهم ولهم قسمة ... ورئيسهم مترو في دير مار ثاودوطا فوق دير مار آباي . صلّوا على الكهنة السبعة المتولين خدمة بيعة مار يوحنا بقرية قلث »

١) هو يعقوب المزوق الذي صار بطريركاً يعقوبياً سنة (١٥١٠) وتوفي سنة (١٥١٩)

وختم بقوله: « انا ساويرا (١ بالاسم اسقف أبدتُ هذا التذكار . وأمرة ان لا يمحوه احد » . وورد في تحريخ كتاب الفرض الصيفي المنسوخ سنة ١٥٥٣ ما تعريبهُ:

« انتهى كتاب الصلوات الصيفيّ سنة ١٥٥٣ م في عهد البطاركة اغناطيوس يعقوب الحصنيّ (من حصن كيفا) الساكن في صلح . وباسيليوس شمعون مفريان المشرق اصلهُ من كفرشامع . وقرلّس مطران مديات . واثناسيوس مطران حاح وباسيليوس مطران الزرجل ويوحنا مطران قرلين . وموسى مطران دير مار آباي . . ونسمة رهبان »

نُسخ الكتاب اولاً في دير حبناس وانتهى في دير صلح المعروف بدير الشمع . في عهد اغناطيوس بن شمعون الزانانيّ بطريرك طور عبدين الذي انشأ نيفًا وماثة وخمسين ناسباً واثام لهم اديرة ثروها وسقّف البيعة كبار الزوايا ونظم حسابات كأي نسر الرحوم (٢ والف رسائل وطقوساً بيعية ونوافير »

ولم نعثر في كنيسة قلث على كتب أقدم من التي ذكرناها وبعد هذا عدنا الى دار القسّ بولس هيمو وبتنا ليلتنا فيها (له بقيّة)

تعريف بعض مخطوطات مكتبتي

لجناب القانوني جرجس افندي صفا (تابع)

١٩ هو كتاب تاريخ الايم ﴿ الى آخر مدة السلطان الملك الاشرف قانصوه الغوري مختصر وهو ثلاثون ورقة قطع ربع غير مكتوب فيه تاريخ ناسخه ويشبه ان يكون كتب في سنة ٩٣٠هـ لانه ينتهي في هذا التاريخ وكاتبهُ مجهول (٣

١) اصل ساويرا من قلث وارتسم مطراناً على الصور سنة ١٤٨٨ وسمي سويرا يشوع وعام ١٥٠٩ خلف توما البتوفاوي في بطركية اليعاقبة . وسنة وفاته أكره على الاسلام فاسلم ثم ندم وهرب الى قبرس وتاب توبة نصوحاً

٢) ورد اسم ابي نصر في تواريخ كتب سريانية شتى ولم يُخلف الينا اسم وطنهِ وزمانهِ

٣) تقدّم لنا ذكر كتاب المرقة ووصفه (ص ٤٣٩) وقد جاء فيه ذكر النور الذي يظهر في قبر السيد المسيح في القدس وقد قرأنا ما كتبهُ مؤخراً حضرة الاب شيخو عن مؤرخي الاسلام في امر هذا النور (ص ١٨٨) فاردنا ان نذكر ما جاء في كتاب المرقة المزبور اتماماً لذلك قال في الكتاب المرقوم بعد كلام: « فاذا كان فصح النصارى وهو يوم السبت الكبير

٢٠ ﴿ رسالة في الاسطرلاب ﴾ ١٣ ورقة بخط دقيق تقطع نصف كل صفحة ٢٣ سطرًا وهي بقدر ضعفي كتاب العمل بالاسطرلاب الذي نشرهُ المشرق الصادر في كانون الثاني سنة ١٩١٣ (ص ٢٩-٤٦) وفيها مباحث غير مذكورة في الكتاب المنشور في المشرق وتحتوي هذه الرسالة على ستين بابًا ولم يذكر فيها اسم المؤلف ولا تاريخ كتابتها اولها:

بسم الله الرحمن الرحيم . الحمد لله ربّ العالمين والصلاة والسلام على اشرف رسلهِ محمد وآله وصحبه اجمعين . اما بعد فهذه رسالة في الاسطرلاب مشتملة على ستين بابًا وخاتمة الباب الاوّل في حدّهِ والثاني اجزائه الخ . ويتخلّل الابواب فصول

ومما جاء فيها في الباب السابع والثلاثين في معرفة مقدار مسافة من مساحتها مانع كعَرْض الانهار وبُعد جدار القلعة المحاصرة :

« وطريقهُ ان تقف في شاطئ النهر او في موضع ترى منه اسفل جدار القلعة وتعلّق الاسطرلاب وتحرّك العضادة حتى يقع الشعاع البصري من الثقبين ويصل الى الموضع المطلوب معرفة بعده مثل الطرف الآخر من النهر واسفل جدار القلعة ثم دُرْ وانظر حتى ترى من الثقبين فاذا رأيتهُ فامسح ما بين موقفك الى اسفل الموضع فما حصل فهو مقدار ارتفاع ذلك المرتفع »

ومنه في معرفة عمق البئر :

« ينبغي ان تضع خشبةً عليه تقوم مقام قطره وتعلّم على وسطه وتعلّق فيه جسمًا ثقيلًا حتّى يصل الى قعره يطمه وتقف قريبًا من البئر وتدير العضادة الى ان ينفذ الخطّ الشعاعي من الثقبين قاطعًا للخشبة ويصل الى الثقيل ثم تمسح ما بين العلامة ونقطة تقاطع الخطّ الشعاعي مع الخشبة

وذلك يوم يخرج الناس من موضع القبر الى الصخر وحول الصخر درابزينات يتطلعون الى موضع القبر يبتهلون كلهم ويتضرعون الى الله تعالى من وقت الاولى الى المغرب ويحضر الامير وإمام المسجد و يغلق السلطان الباب الذي على القبر ويقعد على الباب . فهم على هذا حتى يروا نورًا كأنهُ نار بيضاء يخرج من جوف القبر فيفتح السلطان الباب عن القبر ويدخل اليها وفي يده شمعة فيشعلها من ذلك النور فيخرجها والشمعة تشتعل ولا تحترق فيدفعها الى الامام فيأتي الامام بتلك الشمعة فيشعل قناديل المسجد فاذا تداولت تلك الشمعة ثلاث ايدي احترقت بعد ذلك وصارت نارًا ويكتب الخبر الى السلطان ويعلمه ان النار نزلت في وقت كذا من يوم كذا . فاذا نزلت وقت الصلاة الاولى من ذلك اليوم كان دليلًا عندهم على ان السنة ليست بخصبة ولا قحطة واذا نزلت وقت العصر دلت على ان السنة قحطة » . وقد قدمنا ان مؤلف هذا الكتاب انتهى منه سنة ٣٢٢ للهجرة (٩٣٦م) فهي تضاهي في القدم شهادة المسعودي التي وردت في المشرق (ص ١٦٣) بل هي اقدم منها

وتضرب في مقدار القامة وتقسم حاصل الضرب على ما بين موضع القدم ونقطة تقاطع الخط الشاقي مع المثبّة فخارج القسمة مقدار عمق البئر »

ومنه باب في معرفة إحداث القنوات واجراء المياه اذا اردت ان تعلم من ماء البئر في اي موضع يظهر على وجه الارض. ومنه باب في معرفة إجراء القناة بطريق آخر اسهل

ومنه باب في معرفة ارتفاع مرتفعات لها مانع من الوصول الى مسقط حجرها وغير ذلك مما خلت منه الرسالة المنشورة في المشرق

٢١ كتاب ﴿ نضرة اللباب في شرح بهجة الالباب في علم الاسطرلاب ﴾ تأليف محمد بن علي الحميدي (والمتن للسيّد عبد الحليم القيصريّ) وهو ١١٢ صفحة بخط دقيق في كل صفحة واحد وعشرون سطراً مضبوط النقل جيداً اوله: « الحمد لله الذي جعل الليل لباساً والنهار نشوراً ». نسخ هذا الكتاب سنة ١١٨٧ للهجرة (١٧٧٣م) وفيه رسوم واشكال ومما جاء فيه عند شرح كلمة اسطرلاب قال (١:

انه تخصّص من بين الالاتّ لسهولة طريقه وقرب مأخذه او لكثرة نفعه وهو بالسين وعند البعض بالصاد قال كوشياً الحكيم في بعض تصنيفاته معناه ميزان الشمس ومن ثمّة ظنّ البعض تركيبه من اسطر بمعنى الميزان ولاب بمعنى الشمس. وفي بعض تصانيف ابن ابي ريحان هو في لغة اليونان اسطرلابون معناه مرآة الكواكب. وبعضهم قال: واجد الكواكب. وقال بعضهم: اسطر بمعنى السطر بمعنى التصنيف ولاب اسم ولد هرمس الحكيم وهو اول من اخترع الاسطرلاب. وقيل اول من اخترعه بطليموس ويؤيد الاول ما نقل شارح مقامات الحريري عن ابي نصر النسّي: لمّا رسم لاب ولد هرمس دوائر الفلك في سطح مستوٍ قال هرمس: من سطّر هذا؟ قيل لاب: في جوابه فمن هذا قيل اسطرلاب. هذا حاصل ما في شرح الرسالة الطوسية (ثم قال) وقال الزنجاني انواعهُ خمسة الشمالي والجنوبي (وهو مثل الشمالي في العمل والهيأة الا ان دائرة الجدي هي دائرة السرطان وبالعكس) والكرزي والمطبّل والسرطانيّ (٢

ويقول الشارح في آخر الشرح المذكور انه « فرغ من تأليفه في حجّة لو زيد عليها سبعة عشر وضُرب جذر المجتمع في خمسة ونُقص عشر الحاصل من المجذور عاد الى الاول ». وفي آخر هذا الكتاب رسالة لبدر الدين محمد سبط الشيخ جمال الدين الماردينيّ في العمل بالربع المجيّب تشتمل على مقدمة وعشرين باباً وهي ثمان صفحات

١) راجع في تعريف الاسطرلاب ما جاء في المشرق (ص ٢٠)
٢) اي على صورة الكرة والسرطان كذا في الهامش

٢٢ رسالة ﴿ في معرفة حساب منازل القمر ﴾ بأيّ نجم يُهلّ الهلال في كل شهرٍ منها وذكر البروج الاثني عشر وقسمة المنازل عليها وكل ما فيه نظير للآخر من الشامية واليمانية وذكر سنة النجوم وزيادتها على سنة الاهلّة وما يقطع القمر والشمس من المنازل في الايام والليالي واختلاف الناس في ابتداء العدد بحلول الشمس في المنازل وذكر الفصول الاربعة وقسمة البروج والمنازل عليها وفي ايّ وقت يكون كل فصل من الشهور ومعرفة منزلة الشمس في ايّ يوم اردت من اي فصل كنت فيه ومعرفة المنزلة الطالعة والساقطة والمتوسطة ومعرفة ما مضى من الليل ومنزلة القمر وصفة منازل القمر على ما سمّتها العرب واعداد نجومها وهيآتها واختلاف اشكالها والظاهر منها والخفيّ والنّير والمنطمس واختلاف اسمائها وجهاتها والوانها ومقاديرها في رأي العين ونسبتها الى الصور المذكورة ومعرفة نزول الشمس الى البروج من كل شهر من شهور السريان. وهي ستّة اوراق ونصف قطع ربع تاريخ كتابتها سنة ١٠١٥ للهجرة (١٦٠٦ م) ومضموم اليها رسالة اخرى في خمسة اوراق تأليف تقيّ الدين (١ ابن المعروف المصريّ الراصد وهي شرح تسعة ابيات شعر من نظم المؤلف نفسه. قال في اول الرسالة بعد البسملة والمقدمة:

وبعد فهذه رسالة شرحتُ فيها الابيات التسعة التي نظمتُها في استخراج التواريخ المشهورة من التاريخ العربي وعكسه تبصرةً للطلاب وتذكرة لأولي الالباب. اعلم انه لما كانت معرفة الزمان المنضبط بغرّة الشهر تحقيقاً اي من حيث اجتماع النيّرين اجتماعاً حقيقياً او من وقت إمكان رؤيته متوقفة على معرفة تقويميهما وذلك متوقف على معرفة ذلك الزمان وكان ذلك الزمان مستحيلاً لِمَا فيه من الدور وطلبوا قاعدة تجعل الشهر تقريباً ليؤخذ منه التقاويم ثم تعرف بذلك الغرّة المحققة فجعلوا المحرّم ثلثين يوماً والصفر تسعةً وعشرين يوماً وهلم جرّاً الى آخر السنة فحصل بذلك المقصود. الّا انه لمّا كان الشهر الوسطيّ واثنتي عشرة ساعة محققة منسوبة واحدى عشرة درجة حصل من هذا الكسر في بعض السنين يوم كامل فاحتاجوا الى جعل ذي الحجةْ في تلك السنة ثلثين ثم ضبطوا تلك الكسور فوجدوا في كل ثلثين سنة قمرية احدى عشرة سنة كبيسة وهي: ب ه ز ى يج يه يح كا كد كو كط. فاهملوا ما زاد عنها من الكسور وهو ثلث ساعة وخمس سدس عشر ساعة لانهُ لا يتحصل منه يوم كامل الّا في الفي سنة ومائة وستين سنة

ثم ذكر تاريخ السريان وتاريخ الاسكندر بن فليقوس الرومي ومبدأهُ من اول

---

١) لم اقف على ترجمة المؤلف فيما عندي من التراجم ولعل الشرق يتحفنا بترجمته

السنة التي خرج فيها لتملكه الدنيا وانه ذو القرنين الثاني غير باني السد على الصحيح وقال « ان ايام سنته ٣٦٥ يوماً و٥ ساعات و١٢ درجة وخمس ونصف خمس درجة بتقريب قريب على رأي السلطان ألوغ بيك وفي كل اربع من سنيه يجعلون شباط تسعة وعشرين يوماً فتبقى السنة ثلثمائة وستين يوماً ويزول الكسر تقريباً »

ثم ذكر تاريخ القبط والنصارى والفرس والجلالي وسمي الملكي والفارسي الجديد وضع في زمان السلطان جلال الدين بن الب ارسلان السلجوقي. ثم تاريخ بختنصر وقال انّ بطليموس بنى اوساط المجسطي عليه . ثم تاريخ العبرانيين والرومانيين ثم ذكر معرفة غرّة الاشهر

٢٣ ﴿كتاب مرشدة الطالب الى اسنى المطالب﴾ نحو مائة ورقة قطع ربع بخط دقيق وكل صفحة ١٧ سطراً وهو بغاية الضبط في علم الحساب والجبر تأليف العلّامة شهاب احمد بن الهائم اوله :« الحمد لله على التحقيق والشكر له على التوفيق كتب سنة ١٠٤٠ للهجرة (١٦٣٠ م)

٢٤ نسخة اخرى من ﴿كتاب مرشدة الطالب الى اسنى المطالب﴾ في الحساب كتبت سنة ٩٦٢ للهجرة (١٥٨٤ م) كتبها محمد شمس الدين المعروف بسبط الرومي. ومجموع اليه كتاب آخر في الحساب لعليّ بن محمد بن محمد (كذا) ابن عليّ القرشيّ الشهير بالقلصاديّ الاندلسيّ البسطيّ اوله :« الحمد لله السريع الحساب مقلّب القلوب ومهيّئ الاسباب وهو بقدر كتاب المرشدة المارّ ذكره يسمى كشف الجلباب في علم الحساب . كتاب ثالث مضموم اليهما قريب الحجم من المرشدة في علم الحساب بخط مغربي غير مذكور فيه تاريخ نساخته اوله بعد البسملة:

« وبعد فانّ اصحابنا طلبة العلم اكرمهم الله تعالى سألوني ان اقيّد لهم جملة مختصرة من مسائل الحساب وكيفية العمل فيها بيان شاف من غير برهان على ذلك فاجبتهم الى ذلك وسلكت فيه طريقة الشيخ الفقيه الاجل الازكى الاعدل ابي جعفر التوزري التونسي »

امّا المؤلف فيسمي نفسهُ في المقدّمة بمحمد شرف الدين بن احمد الهذلي الشافعي الهدويّ الدار الحرساوي منشأً التونسيّ قراءةً

٢٥ ﴿كتاب خواصّ الاحجار﴾ لجمال الدنيا والدين شمس الدين محمد

ابن احمد صفر الصأني الدمشتي وهو ١١ ورقة قطع ربع اوله : « الحمد لله العزيز الغفّار الواحد القهّار » وهو نسخة قديمة غير مذكور فيها تاريخ كتابتها

٢٦ ﴿ مختصر مفردات الراغب ﴾ بخط حسن دقيق مضبوط النقل للغاية عدة اوراقه ١٠٦ قطع ربع تحتوي الصفحة على ٢٥ سطرًا وهو في اللغة تفسير الفاظ القرآن تفسيرًا وافيًا وقلّما يذكر معنى اللفظة الّا ويذكر اصل المعنى مثلًا :« دلوك الشمس » ميلها للغروب من دلكتُ الشمسَ دفعتُها بالراحة ومنه دلكتُ الشيْ بالراحة .« الدَّمغ » كسر الدماغ ومنه حجة دامغة .« الرَّسل » الانبعاث على التُّؤدة . ناقة رسل سهلة السير وإبل مَراسيل منبعثة انبعاثًا . ومنه الرسول المنبعث وتُصُوِّر منه تارة الرفق فقيل : على رِسْلك اذا أمر بالرفق . وتارة الانبعاث فاشتُقّ منه الرسول

٢٧ ﴿ مرقاة كلام العرب ﴾ ٨٢ ورقة قطع ربع خط جميل مضبوط بالشكل الكامل غير مذكور تاريخ نساخته ويظهر من هيأة ورقه انهٗ كُتب منذ نحو اربعمائة سنة على الاقلّ وهو يذكر اللفظ العربي ومرادفهٗ ثم يذكر ترجمة اللفظة بالفارسيَّة مثالهٗ « الهيأة والصورة والخلقة والشارة بيكره » .« النفس والرَّوح والجسم والجسد والبدن تَنْ » . وهو مقسَّم ابوابًا والابواب فصولًا فيذكر اعضاء الانسان ثم اصناف الانسان ثم الحِرَف ثم الامراض ثم الاطعمة ثم الامتعة والاقمشة والاسلحة ويذكر الحيوان والنبات وغيرها على نحو هذا الترتيب

٢٨ ﴿ السامي في الاسامي للميداني ﴾ صاحب مجمع الامثال وهو ١٢٢ ورقة قطع ربع من الورق الكبير خط فارسي دقيق بديع جدًا وهو في نهاية الضبط والاتقان مضبوط بالشكل الكامل بكل احكام اوله :

« (بعد البسملة) الحمد لله الذي لا يتمّ امر دون حمده . ولا يبلغ وصف كُنْه قدره ومجده . (الى ان يقول) وجعلته (اي الكتاب) اربعة اقسام القسم الاول في الشرعيات وما يناسبها . والثاني في الحيوانات وما ينضاف اليها . والثالث في العُلْويّات . والرابع في السُّفليات يشتمل كل قسم على ابواب وفصول ملتقطة من عدَّة كتب اصول . وأعرضتُ عن الاستشهاد بالاشعار المشهورة . واقتصرت على ذكر اللغة المأثورة . وتركت الجموع الجارية على سَنَن القياس . ليصغُر حجمه في اعين الناس . هذا بعد ان اذكر منها صدرًا صالحًا في صدر الكتاب وأُعقِب ذكره فهرس الاصول والابواب »

وقسمه الى ٦٦ باباً و كل باب الى فصول ويأتي باللفظة العربية ومرادفاتها وجمعها وترجمتها بالفارسية مثال منه :

« الله واله . خداي سزاي پرستش . الآلهة ج الالاهية . خدايي . (لم يعد كل ما يُطلق على الباري وغيره من الاسماء والصفات بحيث لا يشذ من ذلك شيئاً) . الازليّ والقديم والدائم والأَبدُ هميشه . الآل واهل البيت وآل ياسين خاندان . الكتاب والسفر والزبر والقِطّ والصحيفة نامه . الزُبور والقطوط والصُحُف (ج) . الحرب والبأس والهيجاء والوَغى والوقعة والوغية واللقاء والقتال كارزار . المأزق والمأزِمُ والمأقط تنكناي حرب . رجل مِسْلَق ومِسلاق وسَلّاق وسليق قوي سخن . مِنْأق ومِجْبَاق وثرثار ومكثار ومُسهب بسيار گوي . النق والمبيد والرقبة والمادي والكرد والأَرْآد والتليل گردن »

ومما ذكره المؤلف مستوفى ما جاء مثنى من الاسماء ثم الاتباع والمزاوجة وما يكون للكلمة الثانية معنى وما لا يكون ثم ما اتفق لفظه وافترق معناه وقال في آخره انه فرغ من تأليفه سنة ٤٩٧ (١١٠٣م) ولم يذكر في هذا الكتاب تاريخ نساخته ويشبه ان يكون نُسخ منذ أكثر من اربعمائة سنة

٢٩ ﴿كتاب النوادر في اللغة﴾ تأليف ابي زيد الانصاري وفي آخره كتاب مسائية في اللغة ايضاً بخط محمد بن المكرّم بن ابي الحسن بن احمد الانصاري الخزرجي الكاتب مؤلف كتاب لسان العرب قال في آخره : « فرغ من تعليقه ابو عبدالله محمد بن المكرّم بن ابي الحسن الانصاري الخزرجي الكاتب عفا الله عنه بالمعزّية القاهرة حماها الله تعالى بكرمه وصانها في سنة ٦٧٥ (١٢٧٦ م) ثم يقول : « نُقلت هذه النسخة من نسخة بخط مولانا السيد الشريف تاج الشرف ابي عبدالله ابن السيد الشريف ابي القاسم عبد الرحمان بن عليّ الحسيني الحلبي رضي الله عنه » . وهو مضبوط بالشكل الكامل على الهامش ذكر الروايات التي في نسخ اخرى من هذا الكتاب وهو نحو مائتي ورقة قطع ربع بخط دقيق جميل . وهذا هو الكتاب الذي طُبع في المطبعة الكاثوليكيّة بعناية المرحوم الاستاذ اللغوي سعيد الشرتوني فبنى طبعهُ على نسختنا

٣٠ ﴿شرح شافية ابن الحاجب﴾ في الصرف تأليف الامام عبدالله بن محمد بن احمد الحسيني وهو ٢١٦ صفحة بخط دقيق مضبوط بما يحتاج اليه من الشكل في كل صفحة ١٣ سطراً كتبت هذه النسخة سنة ١٠٦٦ للهجرة (١٦٥٥ م) عن

نسخة كتبت عن نسخة كتبت عن نسخة كتبت عن النسخة التي كتبت بخط المؤلف

٣١ ﴿ كتاب ربط الشوارد في حلّ الشواهد ﴾ وهو شرح شواهد شرح التصريف للعلّامة رضى الدين محمد بن ابرهيم بن يوسف الشهير بابن الحنبلي . وفي ظهر اول صفحة من الكتاب بخط فارسي جميل جدًا ما يأتي بلا نقط: « هذه نسخة جليلة نادرة وهبها المولى الفاضل الفاصل بين الحقّ والباطل مولانا الشيخ محمد السرولي (١ الشافعي للفقير محمد بن اسحاق قاضياً بثغر دمياط وسكور (كذا) ومضافاتها نسخ هذا الكتاب سنة ٩٣٢ للهجرة (١٥٢٥ م) وهو ٥٤ صفحة قطع ربع من الورق اوله: « نحمدك يا من ليس له مثال ولا ازيد بدّو نقص ولا زوال ». اما متن التصريف فهو للزنجاني وشرحه للتفتازاني

٣٢ رسالة ﴿ في الاستعارات ﴾ ورسالة ﴿ في البلاغة ﴾ لابي الليث ورسالة ﴿ في بيان المجاز ﴾ للعلّامة عصام ألفها بالفارسيّة وتُرجمت الى العربية ولم يذكر اسم المترجم . ورسالة بخط فارسي جميل للغاية شرح خمسة ابيات نظمها صدر الشريعة جمع فيها ابحر الشعر العربي اولها: « الحمد لله الذي منح اهل العلم بكامل انعامه وسريع احسانه » والشارح غير مذكور اسمه في هذا التأليف وكل هذه الرسائل مجموعة في مجموع يبلغ نحو مائة ورقة قطع ربع وبعضها مذكور فيه انه نُسخ سنة ١١٧٥ للهجرة (١٧٦٠ م)

٣٣ ﴿ شرح لامية العرب ﴾ خطّ جميل جدًا والمتن مضبوط بالشكل الكامل والشرح مضبوط بالشكل المُحتاج اليه ضبطاً دقيقاً وهو شرح مطوّل نحو ١٥٠ ورقة قطع ربع غير مذكور فيه اسم المؤلف ولا تاريخ ناسخه ويشبه ان تكون هذه النسخة مفردة وانها أُلّفت وكتبت منذ اكثر من ثلاثمائة سنة اوّله:

ابلغ كلام رصّعهُ براعة . وابدع نظام رصّعه يراعة . شكر من انطق اللسان بالكلم التوابغ . وطوّق الاذهان بالنعم السوابغ . (الى ان يقول في المقدمة) ولما تحلّيت بما حلا وراق . وجنيتُ اليانع من ثمرات الاوراق . حلق اليّ الدهر حالقة المحارب او الحريب . وطوى عني كشحهُ فعل المستريب

ثم ذكر هذه القصيدة فقال: « وهي وان شرحها حبر بعد حبر . ووشحها همام

---

١) هذه اللفظة يمكن ان تقرأ البروني والبيروني والبيروتي

إثر همام بوشاح درّ . لم تبرح فريدة مكتونة . وخريدةً في خدرها مصونة » . ثم ذكر ان شرحها المنسوب الى الزمخشري فقال « ان نسبة ذلك الشرح اليه فِرْيَة . وافك ما فيه مِرية » . ثم ذكر الشعر وتعريفه ثم ترجمة الشنفرى ثم قال :

« قال القالي في اماليه . لاميّة العرب من المقدَّمات في الحسن والفصاحة والطول . وكان ناظمها اقدر الناس على قافية . وقال ابن هشام : كان اهل الادب يقولون اول ما تُراش به الابناء لاميّة العرب والسبع الطوال فانها تفتق الالسن بالفصاحة وتهذّب الاخلاق وتزيد في العقل . قال عبد القادر البغدادي : وقد شرحها جماعة منهم الخطيب التبريزي والزمخشري وابن الشجري وابن آكرم

(ثم قال) وقد وقفت على الثاني (اي شرح الزمخشري) وعلى شرح ابن الشجري فوجدته صغيرًا في نحو الكرّاسة وستقف على ما في الشرحين من الاوهام

٣٤ ﴿ تحكيم العقول بافول البدر بالنزول ﴾ تأليف العلّامة علاء الدين اقبرس (؟) «وهو ردّ على بدر الدين الدماميني وتخطيئته في تأليفه الكتاب المسمّى بنزول الغيث الذي انسجم على شرح لامية العجم مخطّئًا للصلاح الصفدي في شرحه لامية العجم » يبلغ نحو ١٠ ورقة قطع ربع كُتب سنة ١٠٢٣ للهجرة (١٦١٤ م) وفي آخره تقريظ لشيخ الاسلام شهاب الدين احمد بن حجر العسقلاني وآخر للشيخ زين الدين ابي بكر ابن العجمي وآخر للشيخ شمس الدين الزركشي مطوّل وآخر للشيخ احمد بن عبد الوارث الصديقي . وهو يحوي فوائد ونوادر لغوية ونحوية وبيانية وشواهد نفيسة شعرية . ولنا كلام آخر يتعلّق بهذا الكتاب نكتبهُ في فرصة اخرى ان شاء الله تعالى

٣٥ ﴿ ميزان الادب لعصام ﴾ مختصر في النحو والمعاني والبيان نحو ٩٠ ورقة قطع ربع بخط جميل دقيق كتب سنة ١١٧٢ الهجرة (١٧٥٨ م)

٣٦ ﴿ شرح المعلقات السبع للزوزني ﴾ نسخ سنة ٦٠٦ للهجرة (١٢١٠ م) وفي اخره شرح قصيدة النابغة الذبياني المشهورة : « يا دار ميّة بالعلياء فالسَّنَدِ » للزوزني ايضاً نُسخت في التاريخ المذكور وكلا الشرحين غاية في الضبط

٣٧ ﴿ شرح شواهد المفصّل ﴾ في النحو خطّ نسخي بديع على ورق جميل ١٦٠ ورقة اوّله : « الحمد لله الذي فضّل الانسان بفضيلة البيان وشرّفه بشرف النطق وفصاحة اللسان » . ويذكر البيت واللغة والمعنى والاعراب ولم يُذكر فيه اسم المؤلف

ولا تاريخ نساخته. وفي آخره رسالة نحو ١٠ ورقة لراءة بالك سروري (كذا) في شرح امثلة في الصرف قال انه « الّفها في اوائل الشباب ثم اضاعها مدة من الدهر ثم عثر عليها » وتلك الامثلة التي شرحها غريبة في بابهـا فانها في التصريف والاعلال تصير كأنها خارجة عن العربية

٣٨ ﴿شرح ابيات الايضاح والمفتاح﴾ قطع ربع بخط دقيق نحو مائتي صفحة غير مذكور فيـه تاريخ نساخته ولا اسم مؤلفهِ ويشبه ان يكون نسخ منذ خمسمائة سنة على الاقل اوله: «الحمد لله المؤيد بحسن توفيقه، الهادي بادلة الطافه الى طريقه» وهو نسخة جليلة مضبوطة وكل صفحة منه ٢١ سطراً

٣٩ ﴿كتاب نشو اليراعة﴾ ٢٢ ورقة قطع ربع بخط رفيع يسمى « خير الكلام في التقصّي عن اغلاط العوام » للمولى علي جلبي قاضي مرعش نسخ سنة ٩٧٨ للهجرة (١٥٧٠ م) . ويحتوي ايضاً على الرسالة القلمية لعلي افندي الشهير بحنائي زاده والرسالة القلمية لطورسون زاده والرسالة القلمية لمحمد جلبي افندي الشهير بنغى زاده والرسالة القلمية لام الولد زاده والرسالة القلمية للمولى جلبي الشهير بقره محمود جلبي والرسالة القلمية للطفي بك زاده، وهذه الرسائل تتضمن وصف القلم بعبارات بليغة مسجعة ومنها ما هو موازنة بين القلم والسيف

٤٠ ﴿مقامات الحريري﴾ وعليها في الهـامش شرح الكلمات اللغوية المحتاجة للتفسير ومكتوب على هامش المقامة السابعة والثلاثين ما يأتي: « قرأ عليَّ المولى مؤيد الدين احمد بن القاضي شرف الدين بن الزنكي كاتب هذه النسخة من اول المقامات الى آخر السابعة والثلاثين قراءة فهم وتدبّر وذلك في مجالس آخرها ١٨ من جمادى الاولى سنة ٧٢٢ وآخرها يبتدي فيها الآتي إن شاء الله عند ختم الكتاب. كتبهُ محمد زنكي شادى النائم » وهذه النسخة مضبوطة بالشكل الكامل. وعلى الهامش مؤاخذات على الحريري من ذلك قول الحريري في المقامة السابعة والثلاثين « فسُقط الفتى في يدهِ » قال في الهامش: « انه كناية عن الندم وذكرُ الفتى هنا خطأ اذ ليس المعنى ان الشيء يسقط في يد نفسهِ وانما المعنى سقط الندم في يد الفتى »(١) . وفيه

(١) راجع شرح ده ساسي فان فيه كلاماً مشبعاً في هذه الجملة

بيان اصل اشتقاق كثير من الالفاظ من ذلك قول الحريري في المقامة الثامنة والشرين: « فوافيتُها بكرة عَروبة » قال في الهامش: عَروبة يوم الجمعة سميت بذلك لظهورها واشتهارها واصلها من الاعراب وهو البيان والظهور » (١). ومنه في شرح المقامة الثانية والشرين قول الحريري «والمُهيمن على المال» قال في الهامش: المهيمن الامين واصله مؤتمن من الامن لفظه لفظ المصغَّر وليس بمصغَّر والذي جاء من ذلك الفاظ يسيرة *

٤١ ﴿ مقامات الزمخشري وشرحها له ﴾ بخط فارسي دقيق جميل مضبوط للغاية نسخ سنة ١٠٨٢ للهجرة (١٦٧٠ م)

٤٢ ﴿ ديوان يوسف افندي الكريمي ﴾ عاش في القرن العاشر للهجرة وهو نحو ستين ورقة بخط حسن قطع ربع اوله: « الحمد لله الذي اخرج منه قرائح ذوي النباهة والرَّكن » اول قصيدة منه:

تأى والاماني الكاذبات بي تدنو بديع جمالٍ من عاشقه الحسنُ

وفيه قصائد لشعراء العصر ارسلت للناظم منها ابتداء ومنها اوسلت اليه جواباً

٤٣ ﴿ ديوان شهاب الدين احمد الفيومي المسمى بكرامات الولي ﴾ وهو نحو مائة ورقة قطع ربع كتب سنة ١١١١ للهجرة (١٦٩٩ م) اوله: « الحمد لله وليّ الحمد ومستحقّه »

فمن شعره ملتزماً الجناس في كل مصراع

بمن بعقود الوصل حلّت وحلّت وحلّت لقلبي الصبر اذ لي حلّت
اراها اراها الحب مرآة نوعه تصدّت فراقت فتلق وتصدّت

ومنها:

غزالَ الصفا من بعدك العيشُ ما صفا ولا طاب لي مذ قيل عزّة عزّت
اما لكَ عن صدٍّ اما لك عن صدٍ فتىً وكهلٍ في المحبّة ما فتي

٤٤ ﴿ كتاب شذور الذهب ﴾ وهو ديوان شعر من انشاء الشيخ الامام العالم العلّامة برهان الدين ابي الحسن علي بن موسى بن ابي القاسم ابن علي

(١) وفي شرح ده ساسي انه تعريب أرُبا النبطية اه. وهي في السريانية ܥܪܘܒܬܐ

الانصاري (١ ١٢٠ صفحة قطع ربع كبير نظمه المؤلف في علم الكيمياء القديمة وتفنَّن في نظمه فاظهره بمظهر الغزل والحماسة والزهد وغير ذلك وهو من بديع النظم ونظن ان هذه النسخة لا ثاني لها في الضبط والاحكام ولم يذكر فيها تاريخ نسخها ويظهر من قدم ورقها وهيأة الخط انها كتبت منذ اكثر من ٦٠٠ سنة وقد وقفتُ على نسخة من هذا الكتاب في دمشق في مكتبة الملك الظاهر وهي مشحونة بالغلط واخرى في بعض المكاتب نظيرها في الغلط . وعندي واحدة بخط المرحوم السعيد الذكر المثلث الرحمة المطران جرمانس فرحات الشهير وهي كثيرة الغلط والتحريف حتى ان جملة ابيات فيها لا محصِّل له وقد عني المرحوم المشار اليه في اتقانها وكتابتها على ورق نفيس لاعجابه بنظمها وهو مع كثرة تنقيبه لم يظفر بنسخة صحيحة . ولا باس من ذكر مثال من هذا الديوان ليعلم مبلغ اقتداره في الشعر وبلاغته قال على قافية القاف :

اذا افترَّ من جَون الغمائم بارقُهْ   بكى الوَدْقُ من خَبت الاناعم وادقُهْ
بدمعٍ كأنَّ الريح تنثر لؤلؤًا   على خدّ روض سندسيّ حدائقُهْ
لدى طللٍ قد كان بالبيض ناطقًا   فاخرس من بعد الفصاحة ناطقُهْ
تُحلّي بهِ ورقاؤه طوق جيدها   وينفُضُه من عن جناحَيه ناعقُهْ
فيالكَ من روض كستهُ يدُ الحيا   مُفوَّفةً تُبلَى سواها عواتقُهْ
هي الوشيُ لا ما احكم الفرس نسجَهُ   بصنعاء عمّا يَقصُر الطرفَ رائقُهْ
رياضٌ حكتْ ملتفَّها العينُ فاغتدى   يُمثّل شخصَ البَينِ للبَين آنقُهْ
يُؤجِّجُ نارَ النُّورِ بَردُ ظلالهِ   ويدفعُ حرَّ الشمس بالظلّ وارقُهْ
كأنّ ثنورَ الباسماتِ اقاحُهُ   ضحىً وخدود الغانياتِ شقائقُهْ
كأنَّ الذي يصفرُّ من زَهَراتِهِ   وبِصفرةِ مشوقٍ تلقاه عاشقُهْ
كأنَّ عيونَ النرجسِ الغضِّ اضمرت   لهُ حسدًا في الحبِّ فهي روامقُهْ
كأنّ الذي يُخفَى من النَّورِ نَبْتُهُ   باكمامه رمزٌ توارت حقائقُهْ

---

(١) الاندلسيّ الجياني نزيل فاس ولي خطابة فاس لم ينظم احد في صناعة الكيمياء مثل نظمه بلاغة معانٍ وفصاحة الفاظ وعذوبة تراكيب حتى قيل فيه انه ان لم يملك صناعة الذهب ملك صناعة الادب وقيل هو شاعر الحكماء وحكيم الشعراء توفي سنة ٥٩٣ هـ (١١٩٧م)

كأنّ مسيل الماء في جنباته ... جرى بين قضبان الزبرجد دافقه
كأنّ ظلال الدوح فوق غديره ... ترائب مزرورٌ عليها بنائقه
كأنّ غصون الآس عند اهتزازها ... يجاذب بعضٌ بعضها ويعانقه
كأنّ التفاف الغصن منها بمثله ... وداع محبٍّ ضمّ الفا يفارقه
كأنّ ثراها عنبرٌ طاب فاكتسى ... بنفحته عن مسكِ دارين ناشقه
كأنّ بياض الشمس يطوي سواده ... كما نشر الإصباح في الليل فالقه
كأنّ غلاماً من بني الزنج جرّدت ... لتمسيده مسحاً عليه بطارقه
كأنّ رُبى بطحائها تحت مُزنهِ ... عرائسُ مضروبٌ عليها سُرادقه
كأنّ شذاها حين تنسجها الصبا ... من المسك ما ابدى من العرف فائقه
كأنّ بها خبّ السماء بمائها ... يُنثّر فيها رَيطه ونمارقه
كأنّ بقايا المزن في رَيّق الحيا ... تُطيلها من غلّ مُلهم باسقه
كأنّ ذراها حين صوّح نبتُها ... فتى اشعلت نارَ المشيب مفارقه
كأنّ الرسوم الدارسات خلالها ... رمائم اموات بكتها بوارقه
سماءٌ غاب البدرُ منها فأظلمت ... مغاربه من ليلها ومشارقه

وهي طويلة اكتفينا منها بما ذُكر. ومن ظريف نظمه قوله في اثبات الكيميا بطريق البرهان قال:

وان كُنتما في ريبةٍ منه فاسمعا ... قياساً وبرهاناً من الصبح أنورا
الم تريا أنّ الغذاء نُعيدهُ ... حرارتُنا بعد ايضاضٍ مُحَمَّرا
دماً قانياً حتى اذا ما تمخّضت ... به النارُ في اصلابنا وتحدّرا
وصار دماً من بعد أن كان نُطفةً ... تكامل حتى صار خلقاً مصوّرا
فحرّكه بعد اتساع قراره ... تَضايقهُ عند التمام ليظهرا
وكان نباتاً يملأ العينَ خُضرةً ... فهاج الى ان صار في العين اصفرا
ومن قبل ما قد كان بذراً مكوّناً ... يجمع الهوى والماء والنار في الثرى
تردّد في الاطوار حتى تملّأت ... بطينته روحُ الحياة لينشرا
كذا في قوى احجارنا الذهب الذي ... يكون اذا ما قيس بالنضر انضرا
كما كان بالامكان في الدم نُطفةً ... فصار به حيّاً مريداً مفكّرا

النصرانية وآدابها بين عرب الجاهلية

للاب لويس شيخو اليسوعي (تابع)

الفصل الثاني : الالفاظ النصرانيَّة في لغة عرب الجاهليَّة (تابع)

٥ مفردات نصارى العرب الدالَّة على رؤسائهم ورهبانهم

وكان للنصارى في جزيرة العرب كما في بقيَّة البلاد نظامهم الدينيّ ورُتَبهم من رؤساء ومرؤوسين يسوسهم الرُّعاة وزعماء الدين . ويمتاز بينهم العُبّاد والمتقطعون لخدمة الله في الرهبانيَّة . والدليل على ذلك الفاظ متعدّدة وردت في آثار عرب الجاهليَّة تشهد على قولنا شهادةً واضحة

فمن الفاظهم التي استعملوها للدلالة على رئيس النصارى (الأَبيل)وقد اتَّخذوه للدلالة على السيّد المسيح كما ورد في البيت المنسوب للاعشى وللاخطل ولابن عبد الجن :

وما سبَّح الرهبانُ في كلّ بيعةٍ ابيلُ الابيليّين المسيحُ بن مريما

قال في لسان العرب (١٣ : ٦) « وكانوا يعظِّمون الأَبيل فيحلفون بهِ كما يحلفون بالله » . وهذه اللفظة سريانيَّة ܐܒܝܠܐ (من فعل ܐܒܠ اي ناح وبكى على خطاياهُ) ومعناها في السريانيَّة الزاهد والناسك والراهب وكانوا يتَّخذون عادةً رؤساءهم من الرهبان المتبتّلين

ومن الفاظهم الخاصَّة برئيس النصرانيَّة « البِطْرَك » « والبِطْرِك » على ما جاء في التاج (٧ : ١١١) قال : « هو مقدَّم النصارى . وقال : البطرك هو البطريق ومنهم من جعل البطريق مقدَّم جيش الروم » والصواب انَّ البطرك كلمة يونانيَّة (Πατριάρχης) معناها ابو الآباء . امَّا البطريق فلفظة لاتينيَّة (Patricius) . وقد جاء اللفظان في الشعر القديم قال الراعي يصف ثورًا (لسان العرب ١٢ : ٢٨١) :

يلو الظواهرَ فردًا لا أليفَ لهُ   مَشْيَ البِطْرِكِ عليهِ رَيْطُ كتَّانِ

وقال اميّة بن ابي الصلت في البطريق (التاج ٦ : ٢٩٦) :

من كل بِطْرِيقٍ لِبِطْـــرِيقٍ   نَقِيِّ الوَجْهِ واضِحْ

وكذلك انشد ابن بريّ (اللسان ١١ : ٢٠٣) :

فلا تنكروني انَّ قومي اعزَّةٌ   بطارقةٌ بيضُ الوجوهِ كرامُ

ومن الفاظهم (الجَاثَليق) وهو دون البطرك واصل الكلمة من اليونانيّة ومعناها السكوني (Καθολικός) وقد استعملوهُ لرؤساء النساطرة والارمن قال صاحب القاموس : « هو رئيس للنصارى في بلاد الاسلام بمدينة السلام ... ويكون تحت يد بطريق انطاكية ثمّ المطران تحت يده ثمّ الاسقف يكون في كلّ بلد من تحت المطران ثمّ القسيس ثمّ الشمّاس ». وقد ورد اسم الجاثليق في شعر بكر بن خارجة (معجم البكري ص ٣٧١) :

يعارة مريم وبدير زكّى   ودَيرَ توما ودير الجاثليقِ

امّا (المَطران) فأصلها على هذه الصورة من السريانيّة ܡܝܛܪܢ او ܡܝܛܪܢܐ والسريان اختصروها من ܡܝܛܪܦܘܠܝܛܐ اليونانيّة (μητροπολίτης) ولم نجدها في الشعر القديم

واشيع من المطران عند العرب (الأُسقُف) زعم ابن السكيت انهُ مشتقّ من السَّقَف وهو طول في انحناء وهو تأويل غريب. والصواب انهُ مشتق من اليونانيّة (ἐπίσκοπος) بواسطة السريانيّة ܐܦܝܣܩܘܦܐ. وقد وردت اللفظة في الكلام القديم. روى ابن سعد في كتاب الوفود في شروط محمّد الى اهل نجران : « لا يغيَّر أُسقف عن اسقفيَّتهِ ولا راهب عن رهبانيَّتهِ ولا واقف عن وقفانيَّتهِ ». وكذلك روى البكريّ في معجم ما استعجم للحسين بن الضحّاك يصف دير الغُمَر (ص ٧٦٩):

مجَّت اساقفُها في بيت مذبحِها   ومجَّ رهبانها في عرصة الدارِ

ومن الفاظهم الدالَّة على رؤساء النصارى (الحَبْر) ويقال الحِبْر واصلها العالِم ثمّ خصُّوها بكبير النصارى واستعملوها ايضاً لغيرهم . قال ابن بن خُزَيم يذكر خمر التقديس (الاغاني ١٦ : ٤٥) :

ولم يشهد القسُّ المُهَيْمِنُ نارَها   طروقًا ولا صلّى على طبخها حَبْرُ

وجاء في الجمهرة :

او زُبُر حِبَرَ بينها احبارُها بالحميريَّة في عسيبٍ ذابلِ

وروى ابن هشام في سيرة الرسول (ص ٣٨٥) قول الشاعر :

لو كنتُ مرتهنًا في القُوسِ أفتنني منها الكلامُ وربَّانيُّ أحبار

قال ابن هشام القُوس صومعة الراهب والربَّانيّ مشتقّ من الربّ اي السيّد ومثلهُ الحبر بمعنى «السيّد العالم» . وجاءت الحبر بمعنى العالم من اليهود او كبيرهم ومنهُ كعب الأحبار . ويشبهُ قول الشمّاخ (اللسان ٥ : ٢٢٩) :

كما خطّ عِبْرانيّةً بيمينهِ بتَيْماء حبرٌ ثمّ عرّض اسطرا

وكما دُعي رؤساء النصارى بالاحبار دعوهم ايضاً (بالأرباب) . قال حُميد بن ثور (للمخصّص ١٢ : ٨٧) يصف بعيرًا يطأطئ برأسهِ ليُركَب :

فُضولَ ازمّتها أسجدتْ سجودَ النصارى لأربابها

وروى في التاج (: ٣٧١) : « لأحبارها »

ومن الالفاظ المختصّة برئيس النصارى عند العرب (الساعي) . قال في التاج (١٠ : ١٨٧) : « الساعي لليهود والنصارى رئيسهم الذي يصدرون عن رأيهِ ولا يقضون امرًا دونهُ . وبالمعنَيَيْن فُسِّر حديث حذيفة في الامانة ان كان يهوديًا او نصرانيًا ليردّنّهُ على ساعيهِ »

وممّا ذكرهُ اللغويون (القَسْطُوس) قال في التاج (٤ : ١٩٢) : « هو رأس النصارى واللفظة روميّة » لم يمكنّا ردُّها الى اصلها ولعلّها مصحّفة

ومنها (القسّ) شرحهُ اصحاب المعاجم برئيس من رؤساء النصارى في الدين والعلم واللفظة سريانيّة ܩܫܐ اي شيخ وتأتي على وزن فَعيل ܩܫܝܫܐ ومنها القسّيس في العربيّة . قال جرير في القسّ (المعرَّب للجواليقي ص ٣٩) :

صبَّحن تُوماء والناقوسُ يقرَعُهُ قسُّ النصارى حراجيجًا بنا تَجِفُ

قالوا تُوماء من اعمال دمشق . ورواية معجم المستعجم للبكري (١ : ٢١٥) : تُوماء . قال تَوماء ماء لكندة . وروى في لسان العرب (١٤ : ٣٤٣) : « صبّحن تَيماء » . ومن الشواهد في القسّ قول الراجز (اللسان ٨ : ٥٨) :

لو عرضتْ لأَيبليّ قسٍّ أشعثَ في هيكلهِ مُندسِّ حنَّ اليها كحنين الطَّسِّ

ومنهُ اسم قسّ بن ساعدة خطيب العرب واسقف نجران. ومما ورد في القسّيس قول عبدالله بن زبير لحجّار بن ابجر العجليّ (الاغاني ١٣ : ١٧) يقرّعهُ في نصرانيّته :

وعندكَ قسّيسُ النصارى وصُلْبُها وغانيةٌ صهباء مثل جنى النَّحلِ

وجمعوهُ على قساقسة . قال امية بن ابي الصلت (التاج ٤ : ٢٠٧) :

لو كان مُنفلتٌ كانت قساقسةٌ يحييهم الله في ايديهم الزُّبُرُ

والاسم من القس (القسّيسيّة والقُسوسة) وفي الحديث «لا يغيّر قسّيس من قسّيسيّته» واللفظة مشتقّة من السريانيّة ܩܫܝܫܘܬܐ وبنى منها العرب فعل قسّس

ودون القسّ (الشمّاس) عرّفهُ ابن سيده في المخصّص بقولهِ (١٣ : ١٠٠) : «من رؤوس النصارى يحلق وسط رأسهِ ويلازم البيعة» . واللفظة سريانيّة ܡܫܡܫܢܐ اي خادم البيعة . وقد تسمّى بعض العرب بالشمّاس كما ورد في الاشتقاق لابن دريد (٢٦٨) وفي حماسة ابي تمّام (ص ٢٥٥) . وجمعها خلفُ بن خليفة (كتاب الشعر والشعراء لابن قتيبة ص ٤٤٨ ed. Goeje) على شماميس فقال

كأنّها شماميسُ في بيعةٍ تُقسّسُ في بعض عيدانها

وجمعها البحتري على شمامسَ حيث قال (معجم البلدان لياقوت ٢ : ٨٣) :

بين شمامسٍ وقسوسِ

ومن الالفاظ التي وردت في المعاجم لرتب النصارى الواقف والوافه والواهف . (فالواقف) على ما ورد في لسان العرب والقاموس والتاج خادم البيعة مشتقّة من وَقَفَ النصرانيُّ ويَقِفُ اذا خدم البيعة ونقل في التاج (٦ : ٢٦٦) الحديث في كتاب محمّد لاهل نجران «ان لا يُغيَّر واقفٌ من وِقّيفاهُ» (قال) : «الواقف خادم البيعة لانهُ وقف نفسهُ على خدمتها» . وروى ابن سعد (ed. Wellhausen. ٧٧) «من وقفانيّته» . و (الوافه) قيم عرّفوهُ «بقيّم البيعة التي فيها صليب النصارى بلغة اهل الجزيرة» التاج (٩ : ٤٢١) . وروى الحديث السابق : «لا يغيّر وافه من وَفْهيّته» . والوفاهة كالوفهيّة والواقه بالقاف كالوافه وروى الحديث ايضاً : «ولا واقه من وقاهيّته» . ومثلها (الواهف) قال في التاج (٦ : ٣٧٣) : «الواهف سادن

البيعة التي فيها صليبهم وقيّمها كالواهف وعملها الوِهافة بالكسر والفتح والوُهفيّة والهَفيّة. وقد وَهَفَ يَهِفُ وَهْفًا ووِهافةً. وقال ابن دريد في المخصّص (١٣ : ١٠٠) : «الواهف مقلوب عن الواهف»

ومثل الواهف (السّاعور) شرحها في التاج (٣: ٣٦٨): «مقدّم النصارى في معرفة علم الطبّ وأدواته وأصلهُ بالسريانيّة ساعورا ومعناهُ متفقّد المرضى». والساعور (ܣܥܘܪܐ) في عهدنا تُقال في الجزيرة لقيّم البيعة وفي مصطلح السريان يُراد بها المدبّر والزائر مطلقاً

واكثر ما تعدّد عند العرب من المفردات النصرانيّة الالفاظ الدالّة على الرُّهبان ومساكنهم. فمنها (الأبيل) التي مرّ ذكرها ومعناها الزاهد والراهب. وقد ذكرنا اصلها السريانيّ. ومن غريب التأويل ما ذكرهُ في التاج (٧: ١٩٩): «الابيل الراهب سُمّي بهِ لتأبّلهِ عن النساء وتركِ غشيانهنّ قال عديّ بن زيد :

إنّي واللهِ فاقبلْ حِلفتي بأبيلٍ كلّما صلّى جأر

وقال ابن دريد : هو ضارب الناقوس وانشد :

«وما صكّ ناقوسَ الصلاةِ ابيلُها»

ومثل الأبيل (الأَيبُليّ والأَيبَليّ والهَيبَليّ) وكلّها بمعنى واحد اي الراهب ولعلّها مقلوبة عن الابيل. قال الاعشى :

وما أيبُليٌّ على هيكلٍ بناهُ وصلّب فيهِ وصارا

والشهرُ من الابيل والايبليّ (الراهب) فأكثرَ من ذكرهِ شعراء العرب قال الاعشى (تاج العروس ١: ٢٨) يحلف بمسوح الرهبان والكعبة :

حلفتُ بثوبَيْ راهب الدير والتي بناها قُصَيٌّ والمُضاضُ بن جُرهُمِ

اراد بثوبَيهِ مسحَيهِ كما قال جرير (التاج ٨: ٦٦ وسيرة الرسول ٣٨٥):

لا وَصْلَ اذ صرمَتْ هندٌ ولو وقفَتْ لاستفتنَتْني وذا المِسحَيْنِ في القُوسِ

وروى البكري في معجم ما استعجم (ص ٤٨٩) بيت الاعشى : «بثوبَي راهب الطور» وروى ايضاً «وثوبَيْ راهب اللُّجِّ» (راجع المفضّليات ed. Lyall ص ٤٨) واردف البكري قائلاً: «قيل انهُ اراد المسيح عليهِ السلام بقولهِ راهب اللجّ . . . والتي بناها قُصيّ يعني مكّة»

وكان رهبان جزيرة العرب يسكنون في التِلال واعالي الجبال كما يشهد عليه بيت انشدهُ ابن الاعرابيّ (التاج ١ : ٢٨١):

لو كلَّمتْ رُهبانَ دَيرٍ في القُلَل · لانحدر الرُّهبانُ يسعى فنَزَلْ

قالوا الرُّهبان هنا مُفرد كالراهب · وقال ربيعة بن مقروم الضبّيّ يصف مقام الراهب ونسكهُ (الاغاني ١٦ : ٩٢):

لو انها عرضَت لأشمطَ راهبٍ · في رأسِ مُشرِفةِ الذُرى مُتبتّلِ
جأّارٍ ساعاتِ النيامِ لربّهِ · حتى تخدَّدَ لحمُهُ مُتشمّلِ
لَصَبا لبهجتها وحُسنِ حديثها · ولَهمَّ من ناموسِهِ يتنزّلِ

والمتشمل المتغنّي في تلاوة الزبور · قال الراعي (معجم البلدان ٤ : ٥٠١):

وبربير شاء لو رآهنَّ راهبٌ · لهُ ظُلّةٌ في قُلّةٍ ظلَّ رانيا

يقال رنا اليهِ اي طرب لحديثهِ · ومما وصفوهُ وافاضوا في ذكرهِ مصباحُ الراهب الذي يوقدهُ ليلًا لصلاتهِ فيُرى عن بُعد ويستهدي بهِ طارق الليل · قال امرؤ القيس في معلّقتهِ يصف لمعان البرق ويشبّههُ بسراج الراهب عند صبّهِ الزيت على الفتيلة ليذكيَهُ:

أصاحِ ترى برقًا أُريكَ وميضهُ · كلمعِ اليدَينِ في حبيٍّ مُكلّلِ
يُضيءُ سناهُ او مصابيحُ راهبٍ · أمالَ السليطَ بالذُبالِ المُفتَّلِ

ومثلهُ قول كُثيّر (اللسان ١٥ : ١٧٩):

او مصابيحَ راهبٍ في يَفاعٍ · سَغَّمَ الزيتَ ساطعاتِ الذُبالِ

وقال امرؤ القيس (راجع ديوانهُ في العقد الثمين ص ٢١):

نظرتُ اليها والنجومُ كأنّها · مصابيحُ رُهبانٍ تُشبُّ لقُفّالِ

قال الشرّاح: القُفّال عبّاد النصارى لانهم قفلت جلودهم اي يبست من العبادة · وقال المزرّد اخو الشمّاخ (عن ديوانهِ المخطوط):

كأنَّ شعاعَ الشمسِ في حُجُراتها · مصابيحُ رُهبانٍ زهتْها القناديل

وذكروا لبس الرهبان للسواد قال الاعلم (في الهذليّات ص ٥٧) يصف قتمة جلد الضباع:

سودٍ سحاليلَ كأنَّ جلودهنَّ ثيابُ راهبْ

وقد وصفوا الرهبان بالتبتُّل. قال امرؤ القيس (ديوانهُ ص ١٤٨):

تُضيء الظلامَ بالعشاء كأنَّها   منارةُ مُمسَى راهبٍ مُتبتِّلِ

والصَّرورة مثل التبتُّل [١] قال النابغة الذبياني (ديوانهُ في العقد الفريد ص ١١)

لو أنَّها عرضت لأشمط راهبٍ   عَبَدَ الالهَ صَرُورةٍ متعبِّدِ
لَرنا لرؤيتها وحسن حديثها   ولخالهُ رُشدًا وان لم يرشدِ

كذلك وصفوا صلاة الرهبان في ليلهم وتشمُّث لمَّتهم زهدًا واصواتهم. قال منظور الاسديّ (راجع تهذيب الالفاظ لابن السكيت ص ١١٢ ولسان العرب ١٣ : ٦):

كأنَّ مهواهُ على الكَلْكَلِ   موقعُ كفَّيْ راهبٍ يصلّي
يا نلوِ وجناءَ او عَيْهَلِ   في غَبَشِ الصبح او التجلّي

وقال الآخر (اللسان ١٤ : ٨٦):

من راهبٍ متبتّلٍ متقهّلٍ   صادي النهارَ لليلهِ متهجّدِ

التقهّل يُبْس الجلد من العبادة. والتهجّد السهر للصلاة. وكانوا يتلون الزبور خصوصاً في صلاتهم كما قال امرؤ القيس يصف رسوم الدار (ديوانهُ في العقد الثمين ص ١٦١):

أتت حججٌ بعدي عليها فأصبحتْ   كخطِّ زبورٍ في مصاحفِ رهبانِ

وكما افاضوا في ذكر الرهبان كذلك بيَّنوا منازلهم في بلاد العرب فخصُّوا منها بلاد مَدْيَن قال كثيِّر عزَّة (معجم البلدان لياقوت ٤ : ٤٥١):

رهبانُ مَدْيَنَ والذينَ عهدتُهم   يبكون من حَذَرِ العقاب قُعودا
لو يَسْمَعونَ كما سمعتُ كلامها   خرُّوا لعزَّةَ رُكَّعًا وسجودا

وقال جرير (ياقوت ٤ : ٤٥١):

رهبانُ مَدْيَنَ لو رأوكِ تنزَّلوا   والعُصْمُ من شَعَفِ الجبالِ الفادرِ

وكذلك خصُّوا وادي القرى كمسكنٍ للرهبان قال جعفر بن سراقة احد بني قرَّة (الاغاني ٧ : ١٠١):

فنحنُ منعنا ذا القرى من عدوِّنا   وعذرةَ اذ نلقى يهودًا وبَعْثَرا

---

١) وفي الحديث. « لا صرورة في الإسلام » قال الزجاجيّ معناهُ التبتُّل وترك النكاح

منمناةٌ من عليا معدٍ وانتمُ مغالسيفُ روحٍ بين فرحٍ وخيبرا
فريقان رهبانٌ بأسفل ذي القرى وبالشام عرّافون فيمن تنصّرا

وكذلك عيّنوا مَوْزَن وهو بلد بالجزيرة في ديار مُضر كاحد مناسك الرهبان. قال كثيّر (راجع التاج ٣ : ٤٩٩ وياقوت : ٤ : ٦٨٠):

كأنهمُ قُصْرًا مصابيحُ راهبٍ بمَوْزَنَ رَوّى بالسليط ذُبالَها
هم اهلُ الواحِ السريرِ ويُمْنِه قرابين اردافًا لها وشمالها

قصرًا اي عشيًا . والسليط الزيت كامرّ . وعدّد صخر الغي (لسان العرب ٦ : ٤٧ والتاج ٥ : ٢٨٣ والهذيليّات ص ١٢) امكنةً اخرى يسكنها الرهبان كبلاد الروم ومنازل تنوخ وحوران وزَبَد . قال :

والله لو اسمعتْ مقالتَها شيخًا من الشُّعْثِ رأسُهُ لَبِدُ
آبَهُ الرومُ او تنوخُ او م الآطامِ من صَوْرانَ او زَبَدُ
لَفَاتَحَ البَيْعَ يوم رؤيتِها وكان من قبلُ يَمَّهُ لَكَدُ

فذكرُهم للرهبان في كلّ هذه الامكنة يؤيد قولنا في القسم الاوّل من شيوع النصرانيّة في انحاء جزيرة العرب

وكانوا يدعون الرهبان بالحُبَساء و (الحبيس) في المعاجم المحبوس في سبيل الله اي المُفْرَز لذلك فيقولون حبيس الله (١

وكذلك دعوا الرهبان (بالحُنَفاء) . وقد مرَّ لنا كلام في الحنيف في القسم الاوّل من كتابنا (ص ١١٦) حيث اثبتنا انّ الحنيف جاءت بمعنى الراهب . كفى شاهدًا على ذلك قول صخر الغيّ في الهذيليّات (ص ٤٥ ed. Kosegarten) :

كأنّ تواليَهُ بالمَلَا نصارى يساقون لاقوْا حنيفا

ومن اسماء الراهب عند العرب (الدَّيْرانيّ) قالوا انهُ صاحب الدير نسبةً اليه على شذوذ والصواب انهُ من السريانيّة ܕܝܪܝܐ . ومنها ايضًا (الرَّبيط) قال الزجاجيّ : هو الراهب . وفي التاج (٥ : ١٤٣) : « الربيط الراهب والزاهد والحكيم الذي ظلف اي ربط نفسهُ عن الدنيا اي سدّها ومنعها» . ومنها (الجُلاذيّ) و (الجِلْذيّ)

---

١) اطلب كتاب المعمّرين للسجستاني (Goldziher. *Abhandlungen*, XXXII)

قال في التاج (٢ : ٥٥٧) هو خادم البيعة والراهب والجمع الجلاذيّ بفتح الاوّل وقد ورد في الشعر القديم قال تميم بن مُقبل :

صوتُ النواقيس فيهِ ما يفرّطهُ ... ايدي الجلاذيّ جونٌ ما يغضّبنا
كأنّ اصواتها من حيث تسمعُها ... صوت المحابض يخلجن المحارينا

ورُوي البيت الاوّل : « الجلاذي وجون ما يغنّينا » والثاني : « صوت المحابض ينزعنَ المحارينا »

ومن اسماء الراهب ايضا (التُّهاميّ) جاء في المخصص لابن سيده (١٣ : ١٠٠) : « التهاميّ في قول ابن الاعرابيّ الراهب لانهُ ينهم اي يدعو . ومن المحتمل انها مستعارة من السريانيّة ܬܡܘܗܐ اي الباكي والزاهد كما قالوا الابيل . او هي مشتقة من الحبشيّة كما ارتأى العلّامة نولدك (Beitraege, p. 56) . وجاءت اللفظة في الشعر القديم قال الاسود بن يعفر (لسان العرب ٢٠ : ٦٦) :

وقالوا شريسٌ قلتُ يكفي شريسكم ... سنانٌ كنبراس التهاميّ مُنْتِقُ
نمتهُ العصا ثمّ استمرّ كأنّهُ ... شهابٌ بكفّي قابسٍ يتحرّقُ

وقد رأيت انهم دعوا الراهب (بالأشعث) لتشعّث لمّته قال الشاعر (لسان العرب ١٩ : ٣٤١ راجع ايضاً المفضّليات ص ٤١١) :

وأشعثَ عنوانٌ بهِ من سجودهِ ... كركبةِ عنزٍ من عنوز بني نصرِ

وقال صخر الغيّ :

شيخاً من الشُّعثِ رأسهُ لبدُ

وقد سمّوا الراهب (المُقدَّس) اذا زار بيت المَقدس كما قال امرؤ القيس يصف ثورًا ادركتهُ الكلاب فقطّعت جلده :

فأدركنَهُ يأخذنَ بالساقِ والنَّسا ... كما شبرقَ الولدانُ ثوبَ المقدّسِ

قال في اللسان (٨ : ٥٠) شبرق جلدَهُ اي قطّعهُ . يقول قطّعتهُ الكلاب كما شبرق ولدان النصارى الراهب الذي يجيء من بيت المقدس فقطّعوا ثيابهُ تبرّكاً وكانوا يتبرّكون بهِ وبمسّهِ الذي هو لابسهُ واخذ خيوط منه حتى يتمزّق ثوبهُ وقيل المقدّس الحبر »

ومن اسماء الراهب عندهم (المتعبّد) قال ابن سيده (١٣ : ١٠٠) : « هو المنقطع في الصومعة » وقد مرّ في الشعر

وقد ابتنوا من الراهب اسماً فقالوا « الرهبانيَّة » ومنهُ ما ورد في سورة الحديد (ع ٢٧) : « وقفَّينا بعيسى بن مريم وآتيناهُ الانجيل وجعلنا في قلوب الذين اتَّبعوه رأفةً ورحمةً ورهبانيَّةً ما كتبناها عليهم الَّا ابتغاء رضوان الله »

وكما ذكروا الراهب ذكروا (الراهبة) وجموها الرواهب. قال امرؤ القيس (العقد الثمين ص ١١٨ والتاج ٤ : ١٣) :

فآنستُ سرباً من بعيدٍ كأنَّهُ رواهبُ عيدٍ في مُلاءٍ مُهدَّبِ

ودعوا الراهبة ايضاً (بالديرانيَّة) وردت اللفظة في كتاب الشعر والشعراء لابن قتيبة (ص ٢٢٩) وفي معجم البكريّ (٣٧٧) . ودعوا الرواهب ايضاً (بالمذارى) ومنهُ عدَّة اديرة وصفها العرب وسمُّوها اديرة المذارى (راجع البكري ص ٣٧٦ وياقوت في معجم البلدان ٣ : ٦٧٨) ومنهُ صوم المذارى « للمذارى النصرانيَّات من العرب شُكرًا لله حيث انتصرت العرب من العجم يوم ذي قار » (الآثار الباقية للبيروني ص ٣١٤)

وعلى ظنّنا انَّ (الحَوارِيّات) ارادوا بها ايضاً المذارى الرواهب قال مسهر اليشكري (اللسان ٥ : ٢٩٦)

فَقُلْ للحَوارِيّات يبكينَ غيرنا ولا تبكِنا الَّا الكلابُ النوابحُ

ويلحق باسم الراهب « المحرَّر والنَّذيرة » ورد ذكرهما في المخصَّص (١٣ : ١٠١) في باب الرهبانيَّة ونحوها قال : « هما الابن أو الابنة يجعلهُ ابواهُ قيِّماً وخادماً للكنيسة وانَّما كان يفعل ذلك بنو اسرائيل كان ربَّما ولد لاحدهم ولد فحرَّرهُ اي جعلهُ نذيرةً في خدمة الكنيسة ما عاش لا يسعهُ تركها » . وقد وردت لفظة المحرَّر في القرآن عن لسان والدة العذراء مريم فقال (سورة آل عمران ٣ : ٣١) : « اذ قالت امرأتُ عِمران ربِّ اني نذرتُ لك ما في بطني محرَّرًا » . والنذيرة من العبرانيَّة נדר اي المنذور للرب (لهُ بقيَّة)

الشاهد العيان على احوال البلقان

رحلة الاب لويس رترفال اليسوعي الى ادرنة (تتمة)

يكلّ اللسان عمّا يخالج قلب المرء في بعض ظروف حياته اذا تنازعتهُ عوامل الخوف او الرجاء او الظفر بالمرغوب . فهذه العواطف كلّها كانت ممتزجة في صدرنا اذ انفتح امامنا باب مسقط رأسنا ورأينا سالمين اولئك الذين ارتعدت فرائصنا مرارًا خوفًا على حياتهم الثمينة في مدّة حصار ادرنة . فبقي اللسان متلجلجًا لا يسعهُ الّا تكرار الشكر لله على نعمة سلامتهم

وزاد شكرنا لهُ تعالى الذي اوصلنا ايضا بالعافية بعد ٢٦ يوما مضت منذ برحنا بيروت وفي حسابنا انّنا ندخل ادرنة في ثلث هذا الوقت وكلّ يعلم انّ المسافة بين الاستانة وادرنة لا تستغرق عادةً في السكة الحديديّة اكثر من ثماني ساعات فصرفنا ثلثة اضعاف الزمن الكافي لارتياد طريق امينة تؤدي بنا الى غايتنا . فلم يخب املنا مع ما لقينا من مشاقّ السفر

فاتخذنا في ذلك المساء نصيباً من الراحة نتبادل عبارات التهاني على سلامة جميعنا ثمّ طلبنا من ساعتنا ان تُسرَد علينا تفاصيل حصار ادرنة من اولها الى ختامها فرووها وكانت رواياتهم الحيّة تمثّل لنا الاخطار الجمّة التي احاقت بهم مدّة نحو خمسة اشهر وملاك الموت حائم فوق رؤوسهم لا رجاء لهم في غير رحمة الله . والحقّ يقال انّ هذه العناية الصمدانيّة شملت على طريقة محسوسة كلّ المستعمرة الاوربيّة المقيمة في ادرنة فلم يُصب واحد منها بأذى سواء كانوا من الرهبان او من بقيّة الجالية . وكانت مع هذا قذائف العدوّ تخرق الجوّ فوق هاماتهم والرصاص يتطاير الى كلّ جانب فيُسمع صفيرهُ دون انقطاع ليلًا مع نهار . وقد سقطت بعض هذه القذائف قريباً من دارنا فانفجرت واحدة على بعد ٤٠ او ٥٠ قدماً منها وكسرت واحدة اخرى باباً ثم ساخت في الارض حيث رأيناها دفينةً . وكان احد انسبائنا يخرج كلّ صباح الى دواوين الريجي فلمّا دخل يوماً في باحة الديوان اذ انفجرت بغتة على مسافة اربعة او خمسة امتار منهُ قذيفة محشوّة رصاصاً (shrapnell) ومن وقته سقط على جدار بناية

هناك فلمّا هدأ الصوت قام سليماً لكنّهُ رأى الجدار قد تفتت فيهِ بنادق الرصاص فثقبتهُ كالغربال . وسقطت قذيفة أخرى في اقبية الرهبان دون ان تلحق باحد ضررًا

والعجب العجاب انهُ لم يُصَب كاثوليكيٌ واحد بأذًى في ادرنة مدة كل الحصار . اما القتلى من بقيّة الاهلين فقد بلغ من عُرف منهم نحو الاثنين وهو عدد قليل بالنسبة الى ما أُطلق من القنابل على المدينة فبعضها تنفجر في وسط البيوت وبعضها نفذ في جدران المساكن وخرج منها . وكان البلغار يطلقون قذائفهم من وراء الآكام المحيطة بأدرنة فلا يمكنهم ان يميّزوا بتدقيق بين احياء الاوربيين ومساكن الاهلين . كما أنهم لم يراعوا المنازل القنصليّة والمعاهد الرسميّة رغماً من الرايات الدوليّة المنشورة فوقها فاحتجّ القناصل على عملهم لكنّ احتجاجهم لم يزل حبرًا على ورق ولم تزل حياة الجميع عرضةً للاخطار طول مدة الحصار

فلمّا انتهى الرواة من تفاصيل هذه الوقائع كرّرنا آيات الشكر لضابط مقاليد الموت والحياة ثمّ اخلدنا الى الراحة حتى الصباح فاحتفلنا بترتيب عيد صعود الربّ الى السماء وفي اثرها زرنا بقيّة الاقارب وسمعنا من افواه الجميع اخبارهم الشخصيّة وما عانوهُ من المشاقّ وكيف نجوا من الاخطار . وكان لسانهم لا يلهج الّا بآيات الشكر للرب الذي بعينهِ الساهرة انقذهم من الف ميتة

وفيهِ ايضاً زرنا المستشفى العسكري الذي يقوم بتدبيرهِ حضرة الرهبان الصموديين فلقيتُ عندهم ١٥٠ جندياً ممن أُصيبوا بضروب الجراحات فسرّنا بسطهم وسلّمنا عليهم وكانوا اذا سمعوني اتكلّم بالتركيّة او العربيّة يبشّ وجههم وينطلق لسانهم فيسرّون بمحادثتي لهم . وقد وجدتُ بينهم نفرًا ضعفت اطرافهم لشدّة البرد الذي قاسوهُ فقُطعت ايديهم وارجلهم . وكذلك تفقّدنا مستشفى الراهبات حيث عدد الجرحى كعدد المعالجين في المستشفى العسكري . ذلك ما عدا مستشفيات اخرى منها لجمعيّة الصليب الاحمر او الهلال الاحمر ومستشفيات اخرى تتولّى في اغلبها معالجة الجرحى الراهبات او السيدات المحسنات

ولا يسعنا هنا الّا ان نردّد عبارات الشكر والمثوبيّة التي كان يلهج بها كل اهل ادرنة وقراغاج مثنين اطيب الثناء على مروءة الكهنة الكاثوليك ورهبانهم وراهباتهم فانّ عدد الجرحى الذين عُنوا بمعالجتهم والفقراء المعوزين الذين سدّوا

ومنهم يبلغ الالوف لانّ الآباء الصعوديين وحدهم كانوا عند اعلان المدنة يعالجون ٥٠٠ من الجرحى. فما قولك ببقيّة الرهبان والراهبات كالفرنسيين ورهبان القيامة البولونيين واخوات اغرام والراهبات الصعوديّات فانّ اديرتهم كانت قد استحالت الى ملاجئ ومآوي يلوذ بها كلّ من يخاف على حياته. بل كان الرهبان يطوفون المدينة غير مكترثين لانفجار القنابل ليلاً مع نهار فيعودون المرضى في البرد القارس ويوزّعون الحسنات على المساكين او يجلبون الى اديرتهم الذين كانوا معرّضين في بيوتهم للهلاك

ومن غريب الاتّفاق انّ سراديب دير رهبان القيامة قد ضمّت في وقت واحد قناصل دول فرنسة والنمسة وروسيّة واسقف البلغار الكاثوليك ومتروبوليت الروم الارثذكس وحاخام اليهود وعدداً لا يُحصى من اهل ادرنة من كلّ جنس وكلّ دين. وقد اجتمعنا ببعض اولئك المكروبين فكانوا يصرّحون علانيةً بانّ للرهبان الكاثوليك اريحيّةً لم يعهدوا لها من شبيه ومروءةً لن يبرح ذكرها من قلوبهم. امّا الجنود الذين كانوا في مستشفياتهم فكانوا يودّون لو بقوا طول حياتهم عند الرهبان والراهبات فيدعونهم آباءهم وامّهاتهم واذا ودّعوهم نطقت دموعهم الفائضة عن شكرهم لتفانيهم في خدمتهم دون استثنا.

وكأني بالقرّاء الكرام يطلبون مني ان افيدهم عما جرى في حصار ادرنة من الحوادث الهامّة فاقول اجمالاً انّ ادرنة مدينة حريزة منيعة تُعدّ من احصن المواقع الحربيّة لما يكتنفها من الآكام فضلاً عن ثلاثة مجارٍ من المياه التي تسيل حولها فتزيدها حصانةً. وكان للمدينة من الاستحكامات ما يقوى على ردّ غارات الدّ الاعداء لولا بعض النقص في تموين البلد بالقوت اللازم لا سيما انّ ارباب الامر لم يجهلوا انّ ادرنة في وقت الحصار تُصبح ملجأً لاهل القرى فكان من الواجب توفير الغلّات لسدّ هذا الخلل. وقد لحظوا انّ ضبّاط العسكر كانوا يتنعّمون بالمآكل المتنوّعة على خلاف الجند الذين كانوا يتضوّرون من الجوع ولا ينالون لسدّ رمقهم الّا قطعاً غير كافية من خبز الماش الاسود الذي لا يرضى به اشدّ الناس فاقةً.

وكان هناك خلل آخر وذلك في الاسلحة فانّ مدافع كروب لم تكن موافقة لرمي القنابل كالمدافع الفرنسويّة المصنوعة في معمل كروزو. وكذلك بنادق الاتراك

كانت مختلفة العيار فكان بينها ما لم تنفذ فيه القذائف او لم تبلغ قذائفه الغاية المقصودة. وكان الاتراك في حاجة الى طيّارات ليرصدوا حركات العدو ويعوهم من علٍ وكان عسكر البلغار مجهزًا بمثلها

ومما اضرّ بتركيا في الحرب ان بعض اركان الدولة كانوا منقسمين بينهم يهتمّون باغراضهم السياسيّة وتغليب احزابهم بدلًا من جمع كلمتهم في سبيل الوطن. وكانت السياسة تشغل كثيرين من الضبّاط عن واجباتهم العسكريّة . وقد اقرّ بعضهم انّ الضبّاط بسوء مثلهم اضعفوا الحميّة الوطنيّة في قلوب جنودهم . وبينما كان الجنود يستقتلون في محاربة العدوّ او يرمون قنابلهم في ظلمة الليل من الخنادق حيث كاد دمهم يجمد في عروقهم من البرد كان الضبّاط يقضون الليل في الملاهي واللعب ليس احد يهتمّ بتنظيم ضرب القنابل وتبليغ الاوامر الى المحاربين فايّ عجب بعد هذا ان كانت قذائف الترك متضعضعة لا تأتي بفائدة . وكان البلغار في اثناء ذلك يرقبون بدقّة كلّ حركات الجنود العثمانيّة ويلحظون شططهم ليستفيدوا من اغلاطهم

فالمسؤوليّة في كلّ ذلك على الضبّاط لانّ كلّ اهل ادرنة لسان واحد في الثناء على مروءة الجند وصبرهم على مشاقّ الحرب وطاعتهم العمياء في القيام باوامر رؤسائهم مع ما كان يصيبهم من بلاء المجاعة وعناء البرد الشديد . وقد اخبرنا الآباء الصعوديّون انّ بعض هؤلاء المساكين كانوا يقرعون ابواب ديرهم ويطلبون كسرة من الخبز ولو بثمن بندقيّتهم . وكم مات منهم قتلًا وبردًا وجوعًا دون ان ينبسوا بكلمة ولو شغبوا على ضبّاطهم لقضي على الجيش بأسره فكانوا على خلاف ذلك يصبرون الصبر الجميل على ضيقتهم . ولمّا دخل البلغار مدينة ادرنة وجدوا بينهم نفرًا باتوا طاوين منذ يومين وثلاثة حتى اربعة أيام لم يذوقوا لماظة

يحيط بادرنة سبع عشرة قلعة وقد صرفت الدولة في تحصينها المبالغ الطائلة لتموينها بالذخائر وتعزيزها بالمدافع وبحفر الخنادق والماطوها بالاسلاك الحديديّة الشائكة فجعلوها كمنطقة بل مناطق عديدة لا يمكن قطعها الّا بعد شقّ النفس والخنادق الجسيمة . وقد رأينا بالعيان تلك المناطق وتحقّقنا صعوبة خرقها فكنّا نرى على عرض ثمانية الى عشرة امتار الاسلاك المتلبّطة مشتبكة ببعضها محدّدة الرؤوس تسندها العمد الحديديّة الراكزة في الارض . وكانت المدينة كلّها مصونة بمثل هذا التجهيز

ومثلها الحصون والبطاريّات وكان عدد مدافع الاتراك لا يقلّ من ٦٠٠ مدفع ولكل مدفع خزانة قريبة منهُ يتناول منها الطوبجي حاجتهُ من القذائف. والخزانات في قُتَر مستورة وحفائر لا يراها العدوّ

ما أبعد فنّ الحرب في ايامنا وطرائق تحصين المدن عمّا اعتادوهُ سابقاً . كان القدماء يعززون مدنهم بحصون شاهقة وابنية سامقة يحفرون حولها الخنادق الواسعة ويدعمون جوانبها بجدران متينة منطقة لا يُستطاع توقّلها فيقيم العدوّ الأيام والاشهر بازائها الى ان يفتح له معبرًا الى باطنها او يرتدّ عنها خائباً مدحوراً . اما الاستحكامات الحاليّة فانها تُحجب على قدر الامكان عن نظر العدوّ . واتّما يختار رؤساء الجيش الآكام التي يكشفون منها على حركات المعادين لكنّ التحصينات يجعلونها في اماكن منخفضة صوناً لها من ضربات القذائف . والمدافع ذاتها يركزونها في حفائر وانّما ترتفع فوهتُها قليلاً من سطح الارض وكثيراً ما يسترونها بالحشائش والأدغال لئلّا يقف العدوّ على مراكزها

وكان في ادرنة للترك بطاريّتان عظيمتان تتألف الواحدة من ستّة مدافع كبيرة من معمل كروب وكان موقعها في مكان مكشوف قريباً من قراغاج ليستعانوا بها لضرب البلغار في معسكرهم ثمّ في حصون « كرطل تيبه » لمّا استولوا عليها . واشتهرت بين قلاع الاتراك قلعة باباس تيبه بما ابداهُ اصحابها من البسالة في الدفاع وبما حدث في جوارها من الوقائع الدمويّة . وهذا الحصن قريب من جسر مرلش أُتيح لنا بان نزوره . ولمّا اقتربنا منهُ كانت ابنيتهُ تلوح لنا مقطوعة الرأس كأنّ القنابل قد دمّرت شرفاتها ولم نلبث ان نتحقّق انّ الحصن كان في اهبتهِ التامّة وتحصيناته كلّها في وطاءِ الارض وفي بطين الخنادق يعلوها اكوام من التراب واصونة تحول دون قنابل العدوّ . ولاحظنا حول الحصن وفي وسطهِ ثقوباً واسعة ونشوزاً من التراب والردم فهناك كانت سقطت قنابل البلغار فبعضها البالغ من ١٥ سنتمتراً الى ٢٢ سنتمتراً كان يغوص في الارض الى عمق مترين ونصف حتى ثلاثة امتار

ومن الخُدَع الحربيّة الجارية في ايامنا ان يضربوا العدو من مكان معلوم يطلعونهُ عليهِ ثمّ يفرغونهُ بنقل المدافع الى امكنة اخرى خفية فيضيع العدوّ قذائفهُ بضرب المكان الاوّل لوهمهِ انّ المدافع لا تزال في مقامها . وقد اكثر البلغار من هذه

الخُدَع حتى تجاوزوا الحدود فمن ذلك انّ نفيرهم كان يدقّ النغمات التركيّة ويدعون بأدعية الاتراك بل نشروا زوراً الراية البيضاء غير مرّة وكانوا على خلاف ذلك لا يراعون الذين احتموا بظلّها وربّما اطلقوا قذائفهم على الامكنة الخافقة فوقها تلك راية السلم(١وقد أكّدوا لنا انّ البلغار لم يكترثوا للمهتمّين بشؤون الجرحى فصوّبوا اليهم بنادقهم مع كونهم امتازوا عن المحاربين بشريطة بيضاء . فكان هذا العمل سبباً موجباً لاهمال المرضى دون مساعدة والقتلى دون دفن في ساحة الحرب

فترى انّ هذه الحرب كانت حرباً عواناً ولأنّ البلغار كانوا وطّنوا العزم على استئصال شأفة اعدائهم وقد أتوا من الاعمال الهمجيّة ما يسوّد وجه التمدّن العصريّ كتجهيزهم على الجرحى في ميدان الحرب ودفنهم لبعض المجروحين قبل موتهم وكنهبهم لمدينة ادرنة بعد فتحها فكان الجند يدخلون بيوت الاهلين فيسلبون منها ما شاؤوا بل دخلوا بيوت الاجانب فخطفوا عدّة اشياء ظلماً . وكان الاروام عند دخول البلغار قد استسلموا للفرح وخرجوا بصلبانهم ليستقبلوهم وساعدوهم في النهب والسلب لكنّهم لم يلبثوا ان ندموا على فعلهم اذ وجدوا البلغار لا يرعون لهم جانباً بل اخذوا يغصبونهم اموالهم ويجرّدونهم من املاكهم . وقد سمعتُ في ادرنة غير واحد من الاروام يقول لي : انّ البلغار ليسوا بمتمدّنين ولا اظنّ اننا نفوز بسلام في صحبتهم ولعلّهم يضطرّونا الى الخروج من ادرنة . وكذلك قد اثبت الرأي العام بانّ البلغار فظاظ الطباع خشان الاخلاق مع ما طُبعوا عليه من البسالة وخُصّوا به من الحُنكة في الآداب الحربيّة . فهم في عهدنا بمثابة الفاتحين في اوّل ظهورهم وقد زادتهم الانتصارات الاخيرة اباءً وانفةً . ولذلك ترى اليوم اليونان والسرب قد انقلبوا عليهم بعد ان بروا في محالفتهم

*

قضينا في ادرنة خمسة عشر يوماً فحان وقت الرجوع الى بيروت : ففي ١٦ آب

---

١) ولعلّ عذر البلغار انّ مدافعهم كانت على مسافة ثمانية او عشرة كيلومترات حيث لا يمكن تسديد الضرب بالدقة اللازمة . وقد ضرب البلغار مسجد السلطان سليم الجميل الهندسة لأنّ الاتراك كانوا اتخذوا احدى منائره كمركز للتلغراف الاثيري . لكنّ الضرر اللاحق بهذا المسجد ليس بعظيم والشائع انّ البلغار يريدون تحويلهُ الى متحف عمومي

ركبنا القطار من ادرنة ميمّمين بورغاس على البحر الاسود لما كان وقع من الخلاف بين البلغار واليونان فحجزت دوننا ثانيةً طريق دهده اغاج. وبتنا ليلةً في ترنوڤو سيمن وهي مدينة لطيفة منقسمة الى قسمين كبودابست موقعها على ضفّتي نهر مادرتا . وقد عاينّا هناك مناظر الطبيعة الآخذة بالابصار لاسيّما عند طلوع الشمس التي كست تلك الجهات بضيائها النيرة وأعارتها محاسن بعض انحاء فرنسة. وتعرّفنا يومئذ باحد الاطباء العسكريين العثمانيين الدكتور رشيد افندي الازمرلي الاصل كان يخدم عسكر دولته في ادرنة فاسرهُ البلغار في من اسروا وارسلوهُ الى ترنوڤو حيث اكتسب ثقة الاهلين بلطف طباعهِ فصار البلغار انفسهم يتعالجون عندهُ

بين تيرنوڤو وبورغاس تمدّ السهول المخصبة والمروج النضرة. فترى الغلّات النامية وضروب المزروعات لا سيّما بقرب مدينة يمبولي حيث يسيل نهر طونجا وهناك يقرّ النظر برأي احد جبال البلقان المحلّق في اعالي الجوّ شمالًا

بورغاس مشتقّة من اليونانيّة πύργος وهي مدينة ساحليّة ذات مرفأ حديث متقن تولّت بناءهُ شركة بلجيكيّة والمدينة في طرف جونٍ مستطيل ترى عن جانبيها شمالًا مدينة انكيالوس الصغيرة وجنوباً مدينة سوزوبوليس القديمة. وفي اقصى الجون في البرّ بحيرة ومستنقعات كانت سابقاً متصلة بالبحر. والاثريون يؤكدون انّ هناك كانت مدن قديمة لما تقذفهُ المياه على اطراف البحيرة من الخزفيّات والمسكوكات والنقود . وقد افادنا المسيو تاكشلا (Mr Tacchella) مدير متحف صوفيا وناظر مكتبتها العموميّة سابقاً واليوم رصيف المسيو هومول (Mr Homolle) في حفريّات بلغارية انهُ كانت قديماً مدينة تدعى اودروم على مقربة من بورغاس زحف عليها الهونيّون في القرون السالفة فقتلوا اهلها ودمّروها ثمّ توالت عليها القرون فطمست آثارها الّا بعض قطع من جدرانها تُرى بقاياها حتى الآن وعلى رأيهِ انهم لو باشروا هناك حفريّات قانونيّة لوجودوا آثاراً جليلة كآثار هركولانوم وبمباي

امّا سوزوبوليس فقد استخرج عاديّاتها المسيو دوغران (Degrand) قنصل فرنسا في فيلبي مع المسيو تاكشلا فوجدا آثاراً بديعة منها سبعة نواويس لم تُنتهك حرمتها يرتقي عهدها الى القرن الثاني او الثالث قبل المسيح وكان في ضمنها آنية غاية في الحسن مصوّرة عليها تصاوير دقيقة كصيد الضواري وصورة الإله ابولّون و إلهات

الفنون الجميلة . وقد بيعت هذه الآنية بمبلغ ١٨٠٠٠ فرنك . وسواحل بلغارية من بورغاس الى فارنة غنيّة بالآثار المطمورة التي لم يكد يمسّها الاثريّون

وقد بلغنا ان ملك البلغار فرديناند ذو خبرة بالغة بالعاديّات ولاسيما الصكوكات القديمة التي لديهِ منها مجموعة كبيرة . وهو ينشط الاثريين ويساعدهم في مشروعاتهم . وبهمّتهِ باشروا حفريّات مدينة نيكوبوليس الواقعة بجوار روستشوك . اما السياسة فالملك فرديناند احد اربابها المعدودين . قيل انّ فوز الدول المتحالفة في الحرب البلقانيّة اليهِ يرجع معظم فضله . ولا يفصل السياسة عن الشراعر الدينيّة فانّهُ في أيام الحرب كثيرًا ما كان يحضر تقدمة الذبيحة الالهيّة . أمّا وقت الهدنة فانّهُ لم ينقطع عنها يومًا واحدًا . وقد اوصى اهلَ الدين باقامة الصلوات على نيّة جيشهِ ومما اثبتهُ لنا الثقة انّهُ قد اتمّ واجباتهِ الفصحيّة في بعض الآحاد التالية لعيد الفصح وكنّا اجتمعنا في ادرنة بعلم ذمّتهِ الاب قوسما (P. Cosme) الكبوشي

بورغاس مدينة صغيرة لطيفة في وسطها الحدائق والاشجار هواؤها معتدل وكانت قبل الحرب الاخيرة تتوقّل معارج الرقي وقد كسدت اليوم سوقها التجاريّة ولعلّ فتح البلغار لدده اغاج يضرّ بمستقبلها فتتحوّل قريبًا الى دده اغاج حركة الاشغال . وبورغاس غنيّة بالصيد فيصطادون الاسماك من بحرها وبحيراتها ويصطادون الطيور والظباء في غاباتها وجبالها التي هي كمنتهى دعائم البلقان

والكاثوليك في بورغاس قليلو العدد لا يزيدون على ثماني او عشر أسر من الفرنج المولودين في الشرق . وللراهبات مار يوسف مدرسة كبيرة يتردّد اليها نحو ١٥٠ فتاة يتربين على الآداب الفرنساويّة . اما اهل المدينة فزهاء ١٣٠٠٠ نفس اكثرهم من البلغار ثمّ اليونان . واقلّ منهم الارمن والترك واليهود والتيغان (النَوَر) وقد شاع بينهم لبس الطربوش وكثيرون يتكلمون بالتركيّة . وليس لليونانيّة سوق رائجة في بورغاس مع وفرة اليونان . ولعلّ سبب ذلك نفور البلغار من العنصر اليونانيّ وفي القلوب حزازات لاسيما مذ اغتصبت الدولة البلغاريّة كنيسة الروم بعد حوادث سنة ١٩٠٥ فاختصّتها بمواطنيها

صرفنا في بورغاس ثلاثة أيام منتظرين سفر الباخرة النمسويّة سالزبورج ففي يوم الاربعاء ٢١ أيار اقلعت باخرتنا التي كان يتقدّمها دليل يجري صيانةً لها من وبال

الالغام الملقاة في البحر الاسود منذ اوّل الحرب البلقانيّة وكانت باخرتنا مثقلةً وسقها من طحين وذرة وجلود واخشاب مع قسمة مدافع من البرونز عيارها ٢٢ سنتمترًا ومدفعين آخرين من مدافع كروب الشيقة وادوات لرمي القنابل المحشوّة ١)

سرنا نحو ساعة بامان واذا بالسفينة قد ارتفعت بغتةً ثمّ جنحت بشدّة الى اليمين فنظر الرّكاب بعضهم الى بعض مرتعبين خوفًا من لغم تكون الباخرة صدمت به على ان هذا الجزع سكن نوعًا لمّا رأوا الضبّاط والنوتيين رابطي الجأش ساكني البال ثمّ سيرت الباخرة مدةً بينما كان اربابها يستوضحون عن الامر فوجدوا انّ الماء قد دخل في قعر المركب واخذ يتزايد حتى اضطرّوا الى تفريغه بالطلمبات وامر الرئيس بنشر الراية المنذرة بالخطر وبالرجوع القهقرى الى ميناء بورغاس مع استحضار قوارب النجاة. فعدنا على رِسْلنا ووصلنا سالمين الى حيث اقلعنا شاكرين الله على نجاتنا من الغرق. وبعد البحث تحقّق ذوو الخبرة انّ باخرتنا كانت عثرت في طريقها بسفينة يونانيّة تُدعى اليس (Ἑλλάς) كانت قبل سنتين او ثلاث سنوات غرقت بعد خروجها من بورغاس في احد الانواء الشديدة. ومن عجيب الصدف انّنا بتأخرنا عن الرجوع الى الاستانة نجونا من خطر آخر كان اصابنا لا محالة اذ انّنا كنّا ركبنا مركب الساجري "سنيغال" الذي أُصيب بلغم عند دخوله في ميناء ازمير فتعطّلت بعض ادواته

عدنا فقضينا ثمانية ايّام أُخر في بورغاس ريثما افرغت الباخرة شحنها ثم تولّى العمّال اصلاح ما حدث لها من العطل فسدّوا مجاري المياه موقّتًا حتى امكننا في ٢٨ من الشهر ان نستأنف السير الى الاستانة. بعد ان رأينا ادرنة مرّة ثانية في حوزة الاجانب وكنّا رأيناها في كانون الثاني سنة ١٨٧٨ تحت سيطرة الروس. خفّف الله عن عباده ويلات الحروب وألهم الدول القناعة بما قسم لهم من الاملاك لهناء رعاياهم

وكان حضورنا لمصاب الباخرة سأزبورج خيرًا لاربابها لأنّهم عرفوا ان ستُقام عليهم دعوى بسبب الحادث المشروح آنفًا فجاء القنصل النمساويّ في بورغاس الى دير الآباء الكبوشيين حيث كنّا مقيمين وطلب الينا بصفة كونه وكيل شركة اللويد النمساويّة

---

١) كانت الدولة قد باعت هذه المدافع الشيقة لاحد اليهود الذي اراد نقلها الى اوربّة فضبطها البولنار لظنّهم انّها من المواد المهرّبة ولمّا وقفوا على صحّة الامر اعادوها لصاحبها الذي قصد ارسالها الى تربيته

ان نقدّم لهُ قراراً في حقيقة الواقع عضيهِ بترقيتنا فاجبنا الى ملتمسهِ بطيب الخاطر فشكر لنا الوكيل وربّان الباخرة عملنا ايّما شكر

وكان على ظهر هذا المركب مسافراً معنا مطروبوليت قرق كليسه الرومي الارثدكسي الذي نال اخيراً بعد فتح المدينة الرخصة بالسفر الى الاستانة ليزور بطريرك الفنار الجديد ويطلعهُ على احوال كنيستهِ بعد الفتح البلغاري. واذ كنّا على الباخرة في غرفة واحدة تسنّت لنا معرفتهُ فلقينا منهُ رجلاً ذا لطف ومؤانسة فقضينا مع سيادته ساعات نتكلّم بالرومية ونتبادل اطراف الحديث حتى انّ الحضور كانوا يقضون العجب اذ يرون احد اساقفة الروم مصافياً لراهب يسوعي. وقد اطلعنا سيادتهُ على كثير من امور رعيّتهِ وما قاساهُ الاهلون من الضيقة في مدة حصار المدينة وكان يشكر الله على انهُ امكنهُ ان يخفّف وطأة ذلك الخطب عن مواطنيهِ دون مراعاة اديانهم وقد بذل للمسلمين انواع الخدم حتى انّ مفتي المدينة قصدهُ رسمياً وشكرهُ الشكر الحميم على مروّتهِ واراد ان يقبّل علانيةً قدميهِ لولا انّ المطروبوليت صدّهُ مراراً عن فعلهِ. فاستنتجنا من ذلك ان رزايا الوطن لم تضعف في قلوب رعايا الدولة شواعر الإخاء والوئام بل زادت تلك الروابط وثاقاً

ولم نتريّث كثيراً في الاستانة فركبنا اوّل باخرة افرنسيّة وجدناها فنقلتنا الى بيروت في اوائل حزيران بعد غيبتنا عنها شهرين بانيف

مريم اخت لعازر ومريم المجدلية والخاطئة التائبة

بحث كتابي للاب جاك هرفو اليسوعي

في ٢٢ من شهر تمّوز احتفلت الكنيستان اللاتينيّة واليونانيّة بعيد قديسة اشتهر اسمها في الانجيل الطاهر وتكرّر ذكرها بين النساء اللواتي نلنَ نصيباً من سوابغ نعم المخلّص وخدمنهُ في حياتهِ وعُنينَ بدفنهِ بعد موتهِ وحظين بنعمة رؤياهُ حيًّا بعد قيامتهِ نريد بها القديسة مريم المجدليّة. فاستحقّت بذلك ان تخصّها الكنيسة بالاكرام وتخلّد اسمها في سجلّات اولياء الله

على انَّ ذكر المجدليَّة لا ينفصل غالباً عن قبيح سيرة الخــاطئة التي ذكرها لوقا وصرفت قسماً من حياتها في الخلاعة والزناء ثمَّ تحنَّن عليها الربّ وألهمها اعمال التوبة النصوح فأتت الى بيت الفرّيسيّ سمعان الابرص حيث دهنت قدمي يسوع بالطيب وبلّتهما بدموعها ومسحتهما بشعر رأسها

وزد عليهِ انَّ ذكرها يجيء ذكر اخيها لعازر اذ نالت مع اختها مرتا ان يقيم الربّ شقيقهما من القبر كما انهما ضافتا في بيتهما غير مرَّة السيّد المسيح في بيت عنيا

تلك امور تخالج عقل المؤمنين لدى ذكر مريم المجدليَّة ولا يكادون يفكّرون في انَّ هناك مشكلاً طالما شغل بال المفسّرين الذين لا يعلمون أمريم المجدليَّة هي في الحقيقة اخت لعازر ومرتا أو هي تلك الخاطئة التائبة التي وصفها لوقا في بيت الفرّيسيّ عند اقدام فادي البشر. أفتصدُق الحوادث المرويَّة في الاناجيل المقدَّسة عن مريم واحدة او عن ثلث نسوة اتّفقن في بعض الامور واختلفن في غيرها ؟.

فلترجيح احد الرأيين لا بُدَّ من عرض الخلاف الذي وقع في ذلك بين الكتبة الكنسيّين في القرون الاخيرة ثمَّ نعود بالنظر الى نصوص الاناجيل المقدَّسة لننظر ما يستفاد من آياتها. واخيرًا نستفتي الآباء ومعلّمي الكنيسة مع ما ورد من الشواهد في الكتب الطقسيَّة شرقاً وغرباً املنا نقف على حقيقة الامر

١ً اطوار الجدال

بقي العالم النصراني مدَّة نحو الف سنة لا يكاد يرتاب في وحدة تلك النسوة الثلث ولم يحرّك كاتبٌ ساكناً في هذا الصدد حتى قام كاتب افرنسيّ يُدعى جاك لوفافر من ايتابل (Jacques Lefévre d'Etaples) فنشر سنة ١٥١٦ كتاباً عنوانهُ « مريم المجدليَّة » ارتأى فيهِ : اوّلًا انَّ مريم اخت مرتا ومريم المجدليَّة مختلفة كلتاهما عن الخاطئة. وثانياً انهُ من الواجب التفريق بين الثلث في الكتب الطقسيَّة. وتأييدًا لرأيهِ اثبت عدَّة شواهد لاقدم الآباء كاوريجانس ويوحنا فم الذهب وامبروسيوس وايرونيموس بخلاف القديسين الذين اتوا بعدهم كغريغوريوس الكبير وبيدا المكرَّم وبرتودوس الذين ارتأوا التوحيد بين الثلث دون داعٍ موجب. امَّا آيات الانجيل فلم يوجد فيها دليل قاطع على انَّ هناك امرأةً واحدة بل الاحرى ان يقال أنها تفرق بينهنَّ بما تثبت لكل منهنَّ من الخواصّ المختلفة

كان لهذا الكتاب صدًى ورنّة في انحاء الغرب فعاكسهُ معظم علماء العصر ومن جملتهم اسقف روشستر الانكليزي يوحنا فيشر الذي فنّد كتاب جاك لوفافر سنة ١٥١٨ فنشر تأليفهُ المثنون بالمجدلية الواحدة (de unica Magdalena) فغلب رأيهُ على رأي لوفافر حتى انَّ الكتب اللاهوتي في باريس انتصر لهُ واصدر حكماً هذا منطوقهُ « يجب تفضيل رأي القديس غريغوريوس الكبير لمزيد انطباقهِ على نصوص الاناجيل وعلى شواهد الآباء والآثار الطقسية ومن ثمَّ نقضي بتحريم الكتب التي تخالف هذا التعليم » فوقع هذا الحكم موقع الاستحسان وأُهمل رأي لوفافر الايتابلي

وبقيت الامور على حالها نيّفاً ومئة سنة حتى استأنف الجدال سنة ١٦٣٦ عالمٌ مفضال كان كنشليارًا لكلية دواي (Douai) وهو اللاهوتي استيوس (Estius) الشهير بتآليفهِ. وكان المذكور استفتى المجمع الروماني في الامر وقدَّم لفحصهِ كتاباً وضعهُ في التمييز بين المريمين والخاطئة فكان جواب المجمع انهُ مأذون بنشر كتابهِ. وكذلك وافقهُ على زعمهِ بعض علماء كلية باريس دون القسم اللاهوتيّ منها الذي بعد مقاومتهِ لهذا الرأي لم يرَ بُدًّا من التساهل في اثبات الرأي المخالف

وكان القسم الثاني من القرن السابع عشر زمنَ بحثٍ وتمعّن في العلوم الدينية والتاريخية فكانت مسئلة المجدلية من جملة الابحاث التي انعم فيها المحققون نظرهم ايستدلُّوا على الرأي الصحيح فتحزَّب قومٌ من فطاحل العلماء من بندكتيين ويسوعيين كمابيلون (Mabillon) وبولندوس (Bollandus) منشئ جمعية البولنديين وغيرهما فراجعوا كل آثار الكتبة الكنسيين في اوائل النصرانية ودقَّقوا البحث في الطقوس القديمة الشرقية والغربية فقام الجدال على ساق بين العلماء فمن سالبٍ ومن موجب ومن موحّد ومُفرِّق ومثلّث. ولم يكتفوا بالجدال بل ارادوا اصلاح الكتب كما فعل هاردوين (Hardouin) رئيس اساقفة باريس الذي نشر كتاب الصلوات القانونية سنة ١٦٨٠ وغيَّر ما كان في الكتاب السابق بخصوص المجدلية ففرّق بينها وبين مريم اخت لعازر ثم الخاطئة. فأثار كتابهُ اهواء القوم حتى خطّأهُ بعضهم وصوّبهُ البعض الآخر وكان من جملة الذين ذهبوا الى مذهبهِ البندكتي الشهير دون كلمات (Don Calmet) في كتابٍ اودعهُ لباب علمهِ الواسع. وخالفهم غيرهم في رأيهم

فوحّدوا المريمين والخاطئة ولم يصوّبوا اصلاح الكتب الطقسيّة خلافاً كالاب البولندي سوليار (Sollier) في اعمال القديسين. وكأنَّ وطيس الجدال قد خمد بعد ذلك لما ألغت رومية الطقوس الخاصة ببعض الابرشيات وتفرّد بدلاً منها الطقس الروماني الذي كاد يعم انحاء اوربة وهذا الطقس الروماني يتبع لرأي القديس غريغوريوس في توحيد المريمين والخاطئة

٣ً فحص آيات الاناجيل بخصوص المريمَين والخاطئة

دونك ما ورد في الاناجيل من الآيات التي عليها محور الجدال . ورد في متى (٢٦ : ٦ – ١٣) وفي مرقس (١٤: ٣ – ٩) ذكر امرأة لم يصرّح الانجيليان باسمها فاخبرا أنها دخلت قبل الفصح والفطير بيومين في بيت سمعان الابرص في بيت عنيا حيث كان يسوع متكئاً فكسرت قارورة طيب من سنبل الناردين وافاضتهُ على رأس يسوع واذ غضب قوم من التلاميذ لفعلها اثنى الربّ على صنيعها كأنها سبقت وطيّبت جسده للدفن

وكذلك روى الانجيليان (متى ٢٧ : ٥٦ و٦١ ثم ٢٨ : ١ – ١٠ ومرقس ١٥ : ٤٠ و٤٧ ثم ١٦ : ١ – ١٠) وجود مريم المجدليّة التي كان قد اخرج منها الربّ سبعة شياطين عند صليب يسوع وقت موته ثمّ في دفنه مع غيرها من النساء . وظهور السيّد المسيح لها وحدها ومع بقيّة النساء بعد قيامته

وجاء في لوقا (٧ : ٣٦ – ٥٠) ذكرُ امرأة خاطئة أتت الى يسوع باكية تائبة اذ كان متكئاً في بيت فرّيسيّ يدعى سمعان فوقفت عند رجلَي يسوع وبلّتهما بدموعها ومسحتهما بشعر رأسها ودهنتها بالطيب . ولما فكّر الفرّيسيّ في نفسهِ كيف يمكن ان يكون يسوع نبيّاً اذ لو كان بهِ لعلم انَّ تلك المرأة خاطئة فكشف الربّ دفين افكارهِ وبيّن لهُ بمثل الدائن السامح لمديونَيه انَّ تلك المرأة الخاطئة مع وفرة خطاياها قد استحقّت الغفران لعظم ايمانها وحبّها ثم اطلقها بسلام

وروى لوقا عن مريم المجدليّة (٨ : ٢ – ٣) أنها كانت من جملة النساء اللواتي ابرأهنَّ يسوع من ارواح شرّيرة وامراض فتبعنهُ مع الرسل ليبذلنَ من اموالهنَّ في خدمتهِ وانَّ مريم المجدليّة هذه اخرج منها سبعة ارواح شرّيرة

وهو لوقا ايضاً الذي اخبر (١٠ : ٣٨ – ٤٢) كيف يسوع دخل قريةً فقبلتهُ

امرأة اسمها مرتا كانت مهتمة باعمال الضيافة لتحسن استقباله وانها كانت لها اخت اسمها مريم كانت جالسة عند قدمي يسوع تسمع كلامهُ . واذ لامتها مرتا امام يسوع لعدم مساعدتها في الخدمة اثنى الربّ على مريم قائلًا : انها اختارت النصيب الاصلح

وفي الفصل الرابع والعشرين منهُ (ع ١٠) ذكر انَّ مريم المجدلية كانت مع النساء اللواتي رأين الملائكة عند قبر المسيح فاخبروهنّ بان الربّ قد قام كما قال

امَّا يوحنا فكرَّر ذكر مريم اخت مرتا ولعازر في الفصل الحادي عشر من انجيله حيث روى قيامة لعازر من الموت في بيت عنيا . ثمَّ اردف في الفصل الثاني عشر ذكر العشاء الذي صنعوه ليسوع في بيت عنيا ستَّة ايام قبل الفصح فخدمتهُ مرتا . اما مريم فاخذت رطل طيب من سنبل الناردين فدهنت بهِ قدمي يسوع ومسحت قدميهِ بشعرها فتشكك يهوذا الاسخريوطيّ من هذا العمل كأنهُ إسراف باطل فدح المسيح تقواها قائلًا : انَّما حفظت ذلك الطيب لدفنهِ

ثمَّ ذكر يوحنا كبقيَّة الانجيليين (١٩ : ٢٥) وقوف مريم المجدلية عند صليب يسوع . كما روى بعد ذلك (٢٠ : ١ و ١١ — ١٩) ورودها الى القبر وتفصيل ظهور الربّ لها في هيئة البستاني وكلامهُ اليها والى التلاميذ بواسطتها

هذه كافَّة النصوص التي ورد فيها ذكر مريم اخت لعازر من بيت عنيا ومريم المجدليَّة والخاطئة التائبة . وعليها بنى اصحاب التوحيد والتمييز بينهنَّ رأيهم فلنسمع ادلَّة الفريقين كليهما

يقول (اصحاب التمييز) ان هذه الآيات لا تصدق عن امرأةٍ واحدة بل عن ثلث نسوة اذ ليس نصٌّ صريح يثبت ان مريم اخت لعازر هي مريم المجدليَّة وانَّ احدى المريمين هي الخاطئة التي غفر السيّد المسيح خطاياها لا بل يفرق الانجيليون بينهنَّ اذ ينسبون الى كلّ واحدة اعمالًا خاصَّة بها

ويردف هؤلاء على قولهم برهانًا آخر فيقولون : قد اعتاد يوحنا الانجيليّ في ذكر الأعلام زيادةَ ايضاحٍ ان وُجدت ثمَّ شبهة او التباس بين الاسماء فاذا ذكر يهوذا اخا يعقوب صرَّح بقولهِ (يوحنا ١٣ : ٢٢ : « يهوذا غير الاسخريوطيّ » واذا اورد اسم سمعان قال (١٤ : ٦) : « سمعان بطرس » دفعًا للالتباس مع سمعان الآخر تلميذ يسوع . وان وجد اسمان لمسمًّى واحد ذكرهما كقولهِ (١١ : ١٦ و ٢٠ : ٢٤) :

« توما الذي يسمّى التوأم » فلو كانت مريم المجدلية هي مريم اخت مرتا ولعازر لما سكت عن ذلك بل كان نوّه اليه حذراً من سوء الفهم على الأقل مرّةً واحدة . فسكوتهُ دليل على ان هناك مريمين

ومثلهُ لوقا فانّهُ اعتاد التدقيق في رواياتهِ للاسماء حيث فرق (٦ : ١٤—١٦) بين « سمعان الذي دعاه » بطرس وسمعان المدعو الغيور » وبين « يهوذا اخي يعقوب ابن حلفي ويهوذا الاسخريوطي » وبين اليعقوبين « ابن زبدى وابن حلفا المعروف بأخي الربّ » . وفعل لوقا مثل ذلك في سفر الاعمال (١٣ : ١) أفلا يكون من العجب ان يذكر امرأةً واحدة فتارةً يسهو عن اسمها (الفصل ٧) ولا يدعوها الاباسم الخاطئة وتارةً يدعوها باسم مريم اخت مرتا من بيت عنيا (الفصل ١٠) وتارةً يدعوها مريم المجدلية دون ان ينبه القرّاء الى وحدة المسمّيات

لا بل من يمعن النظر في نصوص لوقا يتأكّد انهُ اراد ثلثة اشخاص فانّهُ بعد ذكره الخاطئة الثانية في احدى مدن الجليل نائيم او كفرناحوم يذكر مريم اخت لعازر في بيت عنيا من مدن يهوذا ويذكرها كأنّهُ لم يروِ شيئاً عنها سابقاً فقال (١٠ : ٣٨) : « وكانت لهذه اختٌ تُسمّى مريم » فانّ عبارة مثل هذه لا تُقال الا ان ورد ذكره لأول دفعة — وكذلك عند ذكره مريم الثانية فانّ لوقا اذا خصّها بالذكر (٨ : ٢ — ٣ و ٢٤ : ١٠) ألحق اسمها بنسبها « المجدلية » فان كانت هي اخت لعازر فلا سيما عن ذكر الامر

ويأتي المدافعون عن تثليث النساء بدليل آخر فيقولون لو كانت مريم المجدلية هي الخاطئة المذكورة في لوقا (ف ٧) لما كان سمح لها السيد المسيح بان تتبعهُ مع بقيّة النساء الصالحات التي ابراهنّ فتبعنهُ ليقمنَ بخدمته وخدمة رسله لانّ ذلك كان اثار على الربّ بغض الفريسيين وعلّل شكواهم عليهِ بدخول امرأة خاطئة في خدمته مع انّنا لا نجد احداً قرف السيد المسيح بذلك فسكوت اعدائه دليل على انّها غيرها

هذه ادلّة المثلّثين فترى انّها لا تخلو من القوّة . امّا (الموحّدون) للنسوة الثلث فيعمدون قولهم على وحدة اسم مريم وعلى بعض التشابه في ما يرويهِ الانجيليون في نصوصهم فيقولون انَّ هذا كافٍ للدلالة على انَّ المسمّى واحد . فمن حججهم : ١ انَّ

الخاطئة المذكورة في لوقا (ف ٧) اراقت الطيب على قدمي يسوع ومسحتهما بشعر رأسها كما فعلت مريم اخت لعازر على رواية يوحنا (١١ : ٢ و١٢ : ٣). ٢ً يصرّح الانجيليّان مرقس (١٦ : ٩) ولوقا (٨ : ٣) بان السيد المسيح كان قد اخرج من المجدليّة سبعة شياطين فهي اذن الخاطئة. ٣ً ان الخاطئة اراقت طيبها على قدمي يسوع في بيت سمعان الابرص كما اتّفق عليه متى ومرقس ولوقا وقد صرّح يوحنا باسم الفاعلة فدعاها مريم اخت مرتا. ٤ً ويقولون ان مريم اخت لعازر كانت تدعى بالمجدلية لأنها كانت لها املاك في مدينة مجدل فنُسبت اليها وانّ المسيح سمح لها بان تخدمهُ بعد توبتها

على انّ اصحاب التمييز يردُّون على هذه الحجج بقولهم انّ إراقة الطيب على قدمي يسوع قد حدث غير مرَّة مع اختلاف ظروف المكان والزمان والاشخاص فلا يجوز نسبة الامر الى واحدة. اما قول الانجيليين مرقس ولوقا بان المجدليَّة اخرج منها السيد المسيح سبعة شياطين فلا يثبت كونها هي الخاطئة الزانية لانَّ الله يسمح بان الشياطين تدخل في اجساد الناس ليسوا بخطأة. وكذلك لا يُستنتج كون الخاطئة والمجدليَّة واحدةً لانَّ كلتيهما دهنت قدمي يسوع في بيت سمعان اذ هو يحتمل ان رجلين دُعيا بهذا الاسم لانَّ لوقا لا يدعوهُ بالابرص كما فعل متى ومرقس لكنَّهُ يدعوهُ فرِّيسيًّا ويجعل اراقة الطيب زمناً طويلاً قبل متى ومرقس اللذين عيَّنا لذلك يومين قبل الفصح. ومثلها اراقة الطيب لمريم اخت لعازر كانت مختلفة الاحوال فجرت ستَّة أيام قبل الفصح كما روى يوحنا وذلك في بيت الاختين في بيت عنيا ليس في بيت سمعان. وكذلك يرتأي المميّزون للنسوة: ان الموحدين يقولون جزافاً بان مريم اخت لعازر دُعيت بالمجدليَّة لأملاك لها في مجدل. فانَّ هذا تخمين وحدس فقط كقولهم ايضاً انَّ المسيح سمح لها بخدمتهِ بعد توبتها

فيتبيَّن مما سبق انَّ لمسألة التمييز بين النسوة الثلث سنداً كافياً في النصوص الانجيليَّة وان لم يكن فصلاً جازماً

٣ً التقليد الكنسي والطقوس

بقي علينا ان نستقري ما ورد في هذا الصدد في بطون التواريخ الكنسيَّة واقوال الآباء والتآليف الطقسيَّة ما يرجح رأياً على آخر ولا بُدَّ من تنبيه القرَّاء ان

اختلاف الآباء والطقوس في هذا الامر لا يمسّ المعتقدات بل هو امر تاريخي عرضي امكن المفسّرين ان يتباينوا فيهِ كما جاز للكنائس ترجيح رأي على آخر

(الاسكندريون) اقدم الآباء الذين تكلّموا عن النسوة الانجيليَّات اقليميس الاسكندري في اواخر القرن الثاني الّا انّ تفسير هذا الكاتب كلّهُ مجازيّ مبنيّ على الرموز ومن ثمَّ لا يمكن الاستشهاد بهِ وان وحَّد بين الثلث

وأصرح منهُ في ذلك اوريجانوس العلّم لكنّ هذا تصرَّف في رأيهِ فتارةً يجعل النسوة ثلثاً بل اربعاً لئلّا يُنسَب الى الاناجيل اقوال متضاربة وتارةً يوحّد بينهنّ فيزعم انّ يوحنا اخذ اقوال بقيَّة الانجيليين فأتمَّ نقصها . وقد زعم في ميمرهِ الثاني على شرح نشيد الاناشيد انّ نصوص الاناجيل لا تتكلَّم الّا عن امرأتين فقط . فاختلافهُ في آرائهِ يدلّ على انَّهُ وجد في الاناجيل مشكلاً لم يأخذ على نفسهِ حلّهُ

وكذلك لا يؤخذ برهان قاطع من تفسير القدّيس كيرلّس الاسكندريّ الذي ميّز في شرحهِ على انجيل يوحنا بين وليمة لوقا والولائم المهيّأة ليسوع في بيت عنيا ولكن سكت عن وحدة او كثرة الداهنات بالطيب قدمي يسوع

(الآباء اللاتين) العلّم ترتوليان اوّل من بحث بينهم عن الامر فوحد بين النسوة وبين كلّ الولائم وذلك وفقاً لتعليمهِ الاراطيقيّ بخصوص التوبة ومنح الغفران للتائبين مرَّة واحدة فقط وعليهِ لا يجوز اتّخاذهُ كسند

وبعدهُ كتب ايلاريوس في القرن الرابع وذكر النسوة في شرح انجيل متّى ولكن دون ترجيح رأي على آخر

وتبعهما القديس امبروسيوس الذي يجعل الامر تحت شكّ وريب في شرحهِ على لوقا فقال انهُ من المحتمل انّ الخاطئة التي دهنت قدمي يسوع كما اخبر لوقا ليست هي التي اراقت طيبها على رأسهِ كما روى متى ومرقس

ولمعاصرهِ القديس ايرونيموس شرحان متباينان شرح مجازي في مقدمتهِ على نبوّة هوشع يوحّد فيهِ النسوة الثلث . وشرحٌ حرفيّ وذلك في شرحهِ على متى يفرق فيهِ بينهنّ او بالحري يجعلهنّ امرأتين الطيبة قدمي يسوع والمغسّلتها بدموعها وهي الخاطئة والمهريقة بطيبها على رأسهِ وهي غير تلك . فمن ثمَّ ترى كلّ فئة من الوحّدين والمثلثين

للنسوة امكنهُ ان يستشهد باقوال ايرونيموس وان كان الشرح الثاني الحرفيّ مفضّلًا على الشرح المجازي

ومثلهم اوغسطينوس الكبير الذي في كتابهِ من توفيق الانجيليين رجّح وحدة النسوة الثلث ثمَّ عاد في شروحهِ على انجيل يوحنا وابدى شكوكهُ في الامر . ومن اقوالهِ في تردّدهِ قولهُ في احد ميامرهِ : «انَّ بيت لعازر كان خاليًا من الاثم فانَّ الصلاح كان في قلب مرتا وكذلك كانت مريم صالحةً وان كان الاثم ولج يومًا في ذلك البيت فانَّ الربَّ بدخولهِ اليهِ قد ابعد عنهُ كلَّ اثم »

(الكتبة السريانيّة واليونانيّة) إمام الكتبة السريانيّة هو القديس افرام وهو من انصار التوحيد بين المريمين والخاطئة وذلك بكلام جليّ لا يبقي ريبًا قالهُ في احد ميامرهِ

وعلى خلاف ذلك القديس يوحنا فم الذهب فانَّهُ يفصل بين الخاطئة ومريم اخت لعازر بقولهِ انَّ الاولى كانت بلغت بخطاياها الى قعر الذلّ وامَّا الثانية فكانت امرأة فاضلة جديرة بالاكرام

فيتّضح من كلّ هذه الاقوال انَّ الكتبة الكنسيّين لم يعرفوا شيئًا باتًّا بخصوص المريمين والخاطئة وكلّهم يرجعون الى نصوص الانجيل ولو ثبت لهم دليل من التقليد او التاريخ لمَا ضربوا عنهُ صفحًا

فبقي شاهد (الطقوس) . وممَّا لا يُنكر ان صلوات الطقس اللاتيني الراقية الى القرن السادس والى القديس غريغوريوس الكبير تكرّر مرارًا في فروضها ورتبة قداسها انَّ الخاطئة والمجدليّة واخت مرتا كلهنَّ امرأة واحدة . وبعكس ذلك الكنيسة اليونانيّة التي صلواتها وفرائضها اقدم من الفرض اللاتينيّ فانَّها تميّز ثلاث نسوة وتعيّد لكل منهنَّ في يوم خاص ففي سلخ اذار تذكر الخاطئة التائبة وفي ١٨ منهُ تعيّد لمريم اخت لعازر من بيت عنيا وتفرد اليوم ٢٢ من تموز لمريم المجدليّة . الّا انَّها في الميناون تشير الى ما تشترك فيهِ المريمان فتدعو مريم المجدليّة حاملة الطيب كريم اخت لعازر

فترى ان الطقوس كبقيّة الشواهد متذبذبة ايضًا لا تأتي ببرهان قاطع . فيجوز للمفسّرين ان ينقلبوا رأيًا على رأي كما يشاؤون

على انَّ الشائع اليوم في اعتقاد اكثر المؤمنين انَّ اقوال الاناجيل تصدق على امرأة واحدة. ولعلَّ شيوع هذا الرأي انَّما حصل بواسطة الوعَّاظ الذين يتَّخذون ارتداد الخاطئة وسيلةً للحضّ على التوبة التي تغيّر قلوب اعظم الخطأة فتجعل الزانية نفسها عزيزةً على الله الذي يتبرَّع على التوبة النصوح بأثمن المواهب واسبغ النعم وينسى كلَّ ما اجترمهُ صاحبها من الكبائر كما غيَّر السيد المسيح قلب اللصّ اليمين وادخلهُ معهُ الفردوس يوم وفاته

البرهان الصريح

في اثبات أُلوهيَّة المسيح

ردًّا على مجلَّة المنار للاب لويس شيخو اليسوعي (تابع)

الفصل الرابع

أُلوهيَّة المسيح في آداب حياتهِ

قد بلغ السيّد المسيح ذروة حياتهِ. انقشع الغمام الذي كان يحجبهُ في الناصرة. اعلن بسموّ مقامهِ صوتُ الآب الذي جعل فيهِ كلَّ مسرَّتهِ وحلول الروح القدس عليهِ على شكل الحمامة. قام يوحنَّا بالشهادة للاهوتهِ امام بني اسرائيل فتوارى من بعد اداثها كما تتوارى الكواكب لدى طلوع الشمس

فها هي ذا شمس البرّ قد بزغت من وراء الافق « كالعروس الخارج من حجلته تبتهج كالجبَّار للعَدْو في السبيل من اقاصي السماء خروجها والى اقاصيها دورانها وليس من يتوارى عن حرّها » (مز ١٨ : ٥—٧). وانَّما نور هذه الشمس السماويَّة وحرّها هما اللاهوت الذي كان في شخص المسيح الكريم وبها ألِفَت الطبيعةُ الانسانيَّة نور اللاهوت وحرَّهُ فكان لا بُدَّ للالوهيَّة ان تلوح ايضاً من وراء حجاب الناسوت فعلينا في هذا الفصل ان نعتبر سيرة السيّد المسيح وآداب حياتهِ فنبيّن ان تلك

الآداب ليست آداب انسان محض بل هي اعمال اله وفضائل تفوق على كلّ قداسة بشريّة وتثبت كونهُ ابن الله الحيّ النازل من السماء لخلاص العالم

ان حياة الانسان لا تخلو ان تظهر في ثلاثة مظاهر اوّلاً في علاقته مع الاله ثمّ في تصرّفهِ مع القريب واخيراً في سلوكهِ الخاصّ واعمالهِ الشخصيّة فان احسنَ في هذه المواطن الثلثة ولم يخلّ فيها البتة ادرك الكمال. على انّ البشر قلّما يرقون اوج الكمال وان بلغوهُ لم يبلغوهُ الّا بعد النقص المتتالي وبعد المشقّة وكدّ النفس

فأتِ بنظركَ رعاكَ الله الى تاريخ البشر واستقرِ سيرة مشاهير الرجال في كلّ امة وكلّ بلاد لا تجد بعد البحث والتنقيب رجلاً واحداً جمع فيهِ كلّ المناقب الطيّبة دون نقص ولا عيب لا بل ترى كثيرين من اولئك المشاهير اشتهروا بسيئاتهم اكثر منهم بصلاح اعمالهم وفضائل حياتهم. فمن يا ترى بين اولئك المبرّزين قد جمع في نفسهِ كلّ السجايا الحميدة من سموّ عقل وعلم واسع واخلاق رضيّة وكرم وشهامة واقدام ورقّة طباع فان حصل الواحد على نصيب منها عُدَّ محظوظاً. وهيهات ان ترى واحداً قد تفرّد بشيمٍ وخلال لا يُرى فيها ممزوجاً شيءٌ من النقص. وان خصصت بالنظر الآباء والانبياء رأيت ايضاً انّ فضائلهم محصورة في بعض الاعمال لا تشمل كلّ صنف من الصلاح والبرّ. اذ ليس كامل الّا الله

على انّ هذا الكمال قد اراد الله ان يُريَهُ للعالم مرّةً واحدة وذلك في شخص ابنهِ الالهيّ الذي وحدهُ بلغ منتهى الكمال فاقرّ بهِ اعداؤهُ ولو مرغومين

اوّل ما قصدهُ السيّد المسيح في حياتهِ ان يكون قدوةً للبشر في تقى الله واكرام الخالق فاظهر في ناسوتهِ اسمى الفضائل التي يُسرّ بها نظر الآب السماوي. وقد سمعناهُ وهو في الثانية عشرة من عمره يذكّر مريم ويوسف انّ هذه هي دعوتهُ «ان يكون فيما هو لابيه» (لوقا ٢ : ٤٩). وهي الغاية التي وجّه اليها كلّ اعمال حياته أن يكرمهُ تعالى «ويبذل نفسهُ قرباناً وذبيحةً لله رائحة مرضيّة» (افسس ٥ : ٢) تفوق على كلّ القرابين والذبائح المقدّمة لله. فمن لسانهِ كان قال النبي داود (مز ٣٩ : ٧ — ٩ وعب ١٠ : ٧) : «ذبيحةً وتقدمةً لم تشأ ... حينئذٍ قلتُ: هاءنذا آتٍ .. لاعمل بمشيئتك يا الله»

فقدّم السيّد المسيح لله ابيهِ كلّ قوى عقلهِ وذهنهِ ونفسهِ كأطيب المحرقات.

ولذلك تراهُ في كلّ اعماله لا يطلب الّا رضى الآب واتمام مشيئته كما صرَّح بذلك غير مرَّة فقال في انجيل يوحنا (٨ : ٢٩) : «اني افعل ما يرضيهِ كلّ حين» وكذلك قال لليهود (يو ٥ : ٣٠) : «اني لستُ اطلب مشيئتي بل مشيئة الاب الذي ارسلني». ولمّا لقيهُ تلاميذهُ مع المرأة السامريَّة عند بئر يعقوب ودعوهُ ليأكل ممّا ابتاعوهُ في المدينة قال لهم (يو ٤ : ٣٢ — ٣٤) : «انَّ لي طعاماً آكلهُ لستم تعرفونهُ انتم ... انّ طعامي أن اعمل مشيئة من ارسلني وأُتمم عملهُ». وهذه مشيئة الآب قد جعلها نُصب عينهِ في كلّ تصرُّفهِ حتى في ساعة نزاعهِ في بستان الزيتون حيث صرخ ثلاثاً: «لا تكن مشيئتي بل مشيئتك». وقد شهد بولس الرسول على تضحية المسيح مشيئتهُ لابيهِ حيث قال عنهُ (روم ١٥ : ٣) : «انَّ المسيح لم يُرضِ نفسهُ»

وكما انهُ لم يطلب في كلّ اعمالهِ غير رضى الله كذلك لم يطلب مجد نفسهِ بل تمجيد الاب فقط كما قال لليهود (يو ٨ : ٥٠) : «انا لا اطلب مجدي». وامكنهُ ان يقول بملء الثقة في آخر حياتهِ (يو ١٧ : ٤) في صلاتهِ الى ابيهِ: «انا قد مجَّدتك على الارض واتممتُ الذي اعطيتني لأعملهُ» وعلى خلاف ذلك قد بكَّتَ الفريسيين ووبَّخهم على قلَّة ايمانهم لأنهم لم يطلبوا مجد الله بل مجد الناس كما قال لهم (يو ٥ : ٤٤—٤٥) : «كيف تقدرون أن تؤمنوا وأنتم تطلبون المجد بعضكم من بعض ولا تبتغون المجد الذي من عند الله وحدهُ»

ولم يفصل السيد المسيح تمجيد الله عن محبَّتهِ التي كان صرَّح أنَّها اوَّل الوصايا وأعظمها فعرَّفها بقولهِ (متى ٢٢ : ٣٧) : «أحبب الرب الهك بكل قلبك وكلّ نفسك وبكل ذهنك». فكانت محبَّتهُ للآب محبَّة ابرّ البنين واصدقهم حبّاً لأنَّهُ كما قال (يو ٨ : ٥٥) كان «يعرفهُ ويحفظ كلامهُ». وقد اظهر هذه المحبَّة في كلّ ظروف حياتهِ ولا سيما لمّا طلب منهُ الآب ان يضحي نفسهُ لاجل البشر فاجاب بطيب القلب الى وصيَّتهِ وقرَّر ذلك بقولهِ (يو ١٠ : ١٧—١٨) : «من اجل هذا يحبّني الآب لاني ابذل نفسي عن خرافي . هذه وصيَّة قبلتُها من ابي». ولمّا حان وقت السير الى الآلام والموت لم يستنكف عنهما بل قام وذهب الى حيث كان يعلم ان سيطلبهُ اعداؤهُ للموت فقال لتلاميذهِ (يو ١٣ : ٣٠) : «ليعلم العالم اني احبُّ الآب واني كما اوصاني الآب هكذا اعمل قوموا ننطلق من ههنا»

وهذا الحبُّ العظيم الذي اضطرم به قلب السيد المسيح نحو ابيه هو الذي كان يدفعهُ الى ان «يعتزل في القفار ويصلّي» كما اخبر لوقا (٥ : ١٦) ومرقس (١ : ٣٥) وكثيرًا ما كان «يخرج الى الجبل ليُصلّي ويقضي ليلهُ في الصلاة الى الله» كما لوقا (٦ : ١٢) ويوحنا (٦ : ١٥) وذلك على «حسب عادته المألوفة» كما صرَّح به لوقا (٢٢ : ٣٩)

وهذه المحبَّة نفسها قد كانت تحدو به الى ان يقدّم كلَّ ما يؤُول الى مجد الله ونشر خدمتهِ . وكان اذا رأى احدًا يخلّ بذلك غار لله كما فعل لمَّا رأى الباعة والصيارفة ينتهكون لحرمة الهيكل (متى ٢١ : ١٢) «فاخرج جميع الذين يبيعون ويشترون في الهيكل وقلب موائد الصيارفة وكراسيّ باعة الحمام وقال لهم : مكتوب بيتي بيتَ صلاةٍ يُدعى وانتم جعلتموهُ مغارةً لصوص»

وكذلك غضب على الكتبة والفرّيسيين والذهم بالويلات (متى ٢٣ : ١٣—٣٦) لأنهم ضحّوا شريعة الله لتغليب سُنَنهم البشريَّة وللفوز باغراض شخصيَّة سافلة وكان في ما خلا ذلك يكرم السلطة الدينيَّة ويقوم بكل فرائضها ، كما كان يفعل اذا ابرأ البرص (لوقا ٥ : ١٤ و١٧ : ١٤) فكان يأمرهم بان يُروا نفوسهم للكهنة على حسب سنَّة موسى ويقرّبوا القرابين المفروضة لذلك ، بل تلطَّف واجاب الى طلبة شيوخهم لمَّا سألوهُ ان يبرئ غلام قائد المئة (لو ٧ : ١—٦) وألحّوا عليه قائلين له : «انهُ يستحق ان تصنع له هذا لانهُ يحبُّ أمَّتنا وقد بنى لنا مجمعًا»

وكان في كلامهِ الى جمهور الشعب يأمرهم بالاصغاء الى كلام الكتبة والفريسيين وان كانت اعمالهم غير مطابقة لتعاليمهم وذلك لجلوسهم على كرسيّ موسى فقال (متى ٢٣ : ٢—٣) : «ان الكتبة والفريسيين جالسون على كرسيّ موسى فمهما قالوا لكم فاحفظوهُ واعملوا بهِ واما مثل اعمالهم فلا تعملوا لأنهم يقولون ولا يفعلون»

وقد اراد في آلامهِ ان يظهر اكرامهُ للسلطة ولئيس الاحبار وذلك لمَّا استحلفهُ بالله ان يقول لهم هل هو المسيح ابن الله (متى ٢٦ : ٦٣) فاجابهُ السيد المسيح بكل رزانة «انهُ هو» مع علمه بانَّ جوابهُ سيكون سببًا للحكم عليه بالموت

وقد ختم السيد المسيح حياتهُ باعظم دليل على تنوّهِ لعزَّة الله اذ «أسلم روحهُ

بين يدي ابيهِ » (لوقا ٢٣ : ٤٦) وذلك في الساعة عينها التي ضحَّاهُ الآب السماوي فداء عن آثامنا واشعرهُ ببغضهِ للخطيئة التي لبس المسيح شبهها حباً بنا حتى كاد لا ينظر اليهِ فصرخ يسوع مردداً آية المزامير (٢١ : ٢) : « إلهي إلهي لماذا تركتني »

فترى انَّ السيد المسيح كان قدوةً سامية للتقى ولكل الفضائل التي يستطيع الانسان ان يمارسها في خدمة إلههِ ومن ثم استحقَّ أن يؤدي لهُ الآب الشهادة على رضاهُ التامّ بهِ قائلاً « متى ٣ : ١٧) : « هذا هو ابني الحبيب الذي بهِ سُررتُ » . فهيهات هيهات ان ترى في العالم من جاراهُ في اكرامهِ للآب السماوي وإنجازِ كلِّ وصاياهُ حتى انهُ « لم يخلّ بنقطة واحدة من الناموس حتى اتمَّ الكلَّ » (متى ٥ : ١٨) و « من امتلائهِ نحنُ كلّنا اخذنا » (يوحنا ١ : ١٦)

ذلك كان كمال ابن الله في عبادتهِ وتقاهُ وتسبيح اللاهوت . فماذا نقول الآن عن كمال اعمالهِ مع القريب فانَّ فيها من الصفات الفريدة ما لا يشقُّ غبارهُ انسان على الارض مهما عظمت درجة فضلهِ

اوَّل دليل على حبّ السيد المسيح للبشر تجسُّدهُ وتزولهُ من السماء لاجل خلاصهم كما صرَّح بذلك (يو ٣ : ١٦) : « هكذا احبَّ الله العالم حتى انهُ بذل دونهم ابنهُ الوحيد » . ولم يلازم مدَّة ثلاثين سنة من حياتهِ الخمول والذلَّ والطاعة والشغل الشاقَّ الَّا ليعلم جميع البشر ولاسيما العَمَلة ان يقدّسوا حياتهم العاديَّة واعمالهم اليوميَّة التي لا يعتبرها الناس وهي امام الله تستحقُّ ثواباً عظيماً ان قدَّسها الانسان بالنيَّة الصالحة وصبر على اتعابها وبلاياها

وقد لاحت فضائل المسيح في اعين العالم خصوصاً في سني كرازتهِ ودعوتهِ . وذلك في معاملاتهِ لكل طبقات الناس

اختار كتلاميذهِ رجالاً أُميين جهلاء يرتزق اكثرهم بالصيد والاشغال المادّيَّة فأخذ يعلّمهم ويثقّفهم ويعدُّهم الى دعوة ما كانت لتخطر على بالهم . فكم قاسى من الاتعاب ليزيل اوهامهم وليصلح نقائصهم وليبذر في قلوبهم الفضائل التي لم يألفوها فتارةً يبكّتهم على توثّبهم وطلبهم للرئاسة (متى ٢٠ : ٢٢ ولوقا ٢٢ : ٢٥) ويذكّرهم انَّهُ هو السيد جاء ليَخدُمَ لا ليُخدَمَ . وتارةً يرفع عقولهم عن المادّيَّات

لئلّا يصرفوا همّهم الى الأكل والشرب والملبس. (مرقس ٨ : ١٣ ومتى ٦ : ١٣) . وحيناً يردّهم عن طلب الانتقام (لوقا ٩ : ٥٤ — ٥٥) وهو في كلّ احوالهم يحتمل فظاظة طباعهم ويصبر على جهلهم وقلّة ادراكهم وفشلهم وذلك حتى آخر حياته بل بعد قيامته (مرقس ١٦ : ١٤)

اختلط مع الجموع فُعني بشؤونهم وابرأ امراضهم وشفاهم من عاهاتهم واقام موتاهم واخرج منهم الارواح النجسة واحتمل لجاجتهم اذ كانت الجماهير المجمهرة تُقبل اليه من اليهوديّة وفلسطين والشام وفينيقية والمدن العشر وما وراء الاردن (متى ٤ : ٢٤ — ٢٥ لوقا ٦ : ١٧) فكانوا يحدقون به لينظروهُ ويسمعوا تعاليمه وربّما ملأوا البيوت التي يدخل اليها (مرقس ٢ : ٢ ولوقا ٨ : ١٩) ولا يدعون لهُ وقتاً ليأكل خبزًا (مرقس ٣ : ٢٠) وكان « كلّ من به داء يتهافت عليه ليلمسهُ » (مر ٣ : ١٠) ويزحمونهُ (مر ٥ : ٢٤) ويمسكونهُ لئلّا يذهب من عندهم (لوقا ٤ : ٤٢) وهو مع كلّ ذلك حليم صبور لا يفوه بكلمة تنبي عن ضجره او قلّة صبره بل يتمّ بالحرف ما كتب عنهُ النبي (اشعيا ٤٢ : ١ — ٣ ومتى ١٢ : ١٨ — ٢٠) : « هوذا فتاي الذي اخترتهُ حبيبي الذي سُرّت به نفسي أحلّ روحي عليه فيخبر الامم بالحكم. لا يماري ولا يصيح ولا يسمع احدٌ صوتهُ في الشوارع قصبةً مرضوضةً لا يكسر وكتّاناً مدخناً لا يطفئ حتى يُخرج الحكم الى الغلبة » . ومن ثمّ كان الربّ يتحنّن على الجموع القادمة لاستماعه ويبذل نفسهُ لخدمتهم . وكان اذا رآهم في البرّيّة لا يريد ان يصرفهم الى منازلهم دون طعام « لئلّا يخوروا في الطريق » (مرقس ٨ : ٣) ولذلك اصطنع مرّتين تلك المعجزة العظيمة لمّا قات ألوفاً من الجموع بخبزات قليلة ولسمك زهيدة (متى ١٦ : ٨ — ١٠) لكنّ تحنّنهُ عليهم كان اعظم اذا رأى اسقامهم الادبيّة « كأنهم كانوا معذَّبين منطرحين مثل الخراف التي لا راعي لها » (متى ٩ : ٣٥)

وكان قلبهُ الحنون يميل خصوصاً الى الضعفاء والمنكوبين فيدعوهم بالطف الدعوات التي لم يخرج مثلها من فم بشر قبلهُ فيقول (متى ١١ : ٢٨) : « تعالوا اليّ يا جميع المتعبين والثقلين وانا أريحكم » وكانت هذه الدعوة تشمل حتى الصغار والاحداث » فكان يضع يديه عليهم ويصلّي قائلًا : « دعوا الصبيان ولا تمنعوهم

لأنَّ لمثل هؤلاء ملكوت السماوات » (متى ١٩ : ١٣ — ١٤)

وكان حنان قلبه اعظم واوسع للخطأة ليجذبهم الى التوبة والاستغفار من ضلالتهم . والانجيل مملوء من الشواهد على رقّة قلب يسوع على هؤلاء المساكين . فمن يستطيع ان يقرأ ما ورد من ذلك في سيرة المسيح دون ان يتفطّر قلبهُ شكراً على رحمتهِ نحو متى العشّار (متى ٩ : ٩ — ١٣) ونحو زكّى رئيس الجباية (لوقا ١٩ : ١ — ١٠) ونحو المرأة السامريّة (يو ٤ : ١ — ٢٧) ونحو الخاطئة الباكية عند قدمَيهِ (٧ : ٣٧—٤٧) . وقد صوَّر السيّد المسيح رحمتهُ نحو الخطأة في تلك الامثال العجيبة التي توثّر في القلوب الجلموديّة ومنها مَثَل الخروف الضالّ والدرهم المفقود والابن الشاطر (لوقا ف ١٥) . وكان لا يخاف من لوم الفريسيين فيترحّب بالعشّارين والخطأة ويقبل دعوتهم ليكسب ثقتهم ويصلح سيرتهم . قال لوقا (١٥ : ١—٢) : « وكان العشّارون والخطأة يدنون منهُ ليسمعوهُ فتذمّر الفريسيّون والكتبة قائلين : ان هذا يقبل الخطأة ويأكل معهم » امّا الربّ فكان يفحمهم بقولهِ (لوقا ٥ : ٣١) : « لا يحتاج المعافون الى طبيب لكن ذوو الاسقام اني لم آتِ لادعو صدّيقين بل خطأة الى التوبة » . وبلغت بهِ رحمتهُ الى ان اطلق سبيل الزانية دون ان يحكم عليها (يو ٨ : ١٠) بعد ان كشف لشكاتها آثامهم قائلاً : « من كان منكم بلا خطيئة فليبدأ ويرجمها بحجر » لكنّهُ اوصاها بألّا تعود تخطئ .

ولم يقصر الرب حسن معاملتهِ على الصغار والخطأة بل وجّه عنايتهُ الى كلّ النفوس حتى الفريسيين والصدوقيين وكافّة اعدائهِ فكان لا يأنف من ان يكلّمهم ويباحثهم ويكشف لهم اسرار ملكوت الله واذا دعاهُ احد منهم الى بيتهِ اجاب الى دعوتهِ فأكل عند الفريسيين غير مرّة (لو ٧ : ٣٦) مع كونهم كانوا يرقبونهُ ليأخذوهُ بكلمة . واذ اتى واحد منهم اليهِ ليلاً وهو نيقوديموس قبلهُ وأعلن لهُ باسرار ملكوت الله (يو ٣ : ١—٢٥ و١٩ : ٣٦) حتى تتلمذ لهُ كيوسف الرامي (يو ١٩ : ٣٨) . وكذلك الصدوقيّون فانّ السيد المسيح ردّ ضلالهم في قيامة الموتى بكل لطف (متى ٢٤ : ٢٩) اذ رآهم جهلاء لا يدركون حقائق الايمان

وممّا امتاز بهِ السيّد المسيح في تصرّفهِ مع الناس انّهُ كان يعطي كل ذي حقّ حقّهُ دون محاباة للوجوه ولا مراعاة للاشخاص فلا يطلب رضى الاولياء ولا فضل

الاغنياء بل يجعل نفسهُ كلًّا للكلّ ليربح الكلّ لابيهِ . كشف خبث هيرودس (لوقا ١٣ : ٣٢) وعلّم الطاعة لقيصر في ضمن الزمنيات (متى ٢٢ : ٢١) دعا ارباب الثروة الى الكمال ودلّهم على طريقهِ (متى ١٩ : ٢١) كما انهُ أثنى على ارملة ألقت فلسين في الخزانة (لوقا ٢١ : ١ — ٤) كسر من زهو الفريسيين المتكبّرين واطرأ تواضع العشّار (لوقا ١٧ : ١٠ — ١٤) صنع المعجزات لعلاج كل المتقومين ولم يشأ ان يصنع آيةً امام هيرودس ليخلّص نفسهُ بل لم يُجبهُ بكلمة منفّلًا هزءهُ على موافقته في فضوله . دفع الجزية لجباة الدرهمين مع كونهِ حرًّا لئلّا يشكك الناس (متى ١٧ ٢٢ — ٢٦)

فترى انّ السيد المسيح كان مثال الكمال في سيرتهِ مع البشر كما كان قدوتهم في تُقى الله وعبادتهِ تعالى . ولو اردنا شاهداً آخر لا يُنكر على كمالهِ في تصرّفه مع البشر كفانا بهِ في شهادات اعدائه عليه فانهم لم يجدوا ليشكوه في محاكمهم وامام بيلاطس والي الرومان الّا شهادات زور عرف كلّ كذبها الّا ما صرّح هو ذاتهُ به علانيةً اعني كونهُ ابن الله

بقي ان نبيّن كمال السيد المسيح في مظهر ثالث وهو حياتهُ الشخصيّة والفضائل التي مارسها في عيشته الخاصّة واعمال حياته الفرديّة فنقول :

انّ الانسان اذا ما خالط بني جنسهِ وشخصت اليهِ ابصارهم لرفعة مقامه بينهم ربّما موّه عليهم وحلّى نفسهُ بثوب مستعار يحجب عن العيون نقائصهُ الطبيعيّة حتى اذا انجلى عنهُ الناس وعاد الى سيرتهِ اليوميّة خلع عنهُ ذاك الرداء وعرفهُ اصحابهُ كما هو بلا بهرج ولا زخرف باطل

ومن امعن النظر في حياة السيد المسيح الخصوصيّة وجدهُ بلغ كمالها كما ادرك كمال الصلاح في خدمة اللاهوت والتصرّف مع العالم

نبذ السيد المسيح في عيشتهِ كلّ رفاهية ونعمة واختار الزهد والعيشة الشظفة . افتتح دعوتهُ بصوم عجيب دام اربعين يوماً واربعين ليلةً فشعر بالجوع . ثم شاطر تلاميذهُ مآكلهم البسيطة التي اعتادوها مع فقرهم من خبز شعيرٍ واسماك يصطادونها او كان يعيش معهم من بعض صدقات يُحسن بها اليهِ نساء صالحات ذُكرن لوقا (٨ : ٣)

كان يقاسي اتعاب الاسفار فيطوف البلاد ماشياً ليبشر فقراءه جالساً عند بئر يعقوب وهو تعبان من السير (يوحنا ٤ : ٦) وكان لبسه بسيطاً خشناً ورداؤه غير مخيط (يوحنا ١٩ : ٢٣). ا مسكنه فكان يختلف على اختلاف من يضيفه في بيته حتى انه قال (لوقا ٩ : ٥٨) : «ان للثعالب اوجرة والطيور السماء اوكاراً واما ابن البشر فليس له موضع يُسند اليه رأسه»

وكان مع زهده وتقشُّف عيشه يأنف من كل كبر وجاه عالمي ويستنكف عن كل عظمة وترفُّع حتى انه كان في وسط تلاميذه كالذي يَخدم (لوقا ٢٢ : ٢٧). بل كان يقول (متى ٢٠ : ٢٨) : «انَّ ابن البشر لم يأتِ لِيُخدَم بل لِيَخدُم» وقد اثبت ذلك فعلاً غير مرّة ولاسيا في العشاء السرّي حيث غسل ارجل تلاميذه وامكنه ان يجمل نفسه قدوة في تواضعه حيث قال (متى ١٧ : ٢٠) : «تعلَّموا مني اني وديع ومتواضع القلب». ومن ثمَّ لمَّا علم ان الشعب ارادوا ان يختطفوه ويقيموه ملكاً انصرف عنهم للحال الى الجبل وحده (يوحنا ٦ : ١٥)

وقد حملهُ تواضعهُ الى الطاعة مع كونه هو الربّ والسيد بل اطاع في حياته وموته كما قال الرسول (فيليب ٢ : ٣) عنهُ انهُ «اذ كان في صورة الله لا يعتدُّ مساواتهُ لله اختلاساً اخلى ذاتهُ آخذاً صورة عبدٍ ... فوضع نفسهُ وصار يطيع حتى الموت موت الصليب»

تلك ذاك التواضع الذي اتحف ابنُ الله بشراعوه لم يكن ليثنيهُ عن بذل نفسه لاجل البشر. فحينا سرت رأيته قدوة لذاك التفاني العجيب في سبيل حاجات الجموع ومداواة كافة اسقامهم حتى ان كلًّا منهم كان يستطيع تكرار آية الرسول القائل (غلاطية ٢ : ٢٠) : «أحبَّني ابنُ الله وبذل نفسهُ لاجلي» كما ان الربَّ يسوع امكنهُ ان يعرض نفسهُ كمثال التجرُّد وجحود النفس حيث قال (متى ١٦ : ٢٤) : «من اراد ان يتبعني فليكفر بنفسه ويحمل صليبهُ ويتبعني» وقد ختم حياتهُ بتقدمة نفسه للموت عن احبّائه وهي اقصى حدود المحبة كما قال (يو ١٥ : ١٣). ووضع نفسهُ من تلقاء ذاته دون ان يغصبهُ على ذلك احد وهو القائل (يو ١٠ : ١٧ — ١٨) : «من اجل هذا يحبّني الآب لاني ابذل نفسي لآخذها ايضاً ليس احد يأخذها مني ولكنني ابذلها باختياري ولي سلطان ان ابذلها ولي سلطان

أن آخذها ايضاً » . فأتمّ طوعاً ما فاه به قيافا رئيس الكهنة بروح النبوّة (يو ١١ : ٥٠) قـائلًا : « انكم لا تعرفون شيئاً ولا تفتكرون انهُ خير لكم ان يموت رجل واحد عن الشعب ولا تهلك الأمة كلها » ولذلك تراهُ سائرًا الى الموت بكل طيب قلب دون ان يصنع شيئاً لينقذ نفسهُ من تلك العذابات والاوجاع التي كانت تنتظرهُ وكان سبق فوصفها لتلاميذهِ في كلّ تفاصيلها (متى ٢٠ : ١٩)

فهذا الزهد وهذه الضعة وتلك الشهامة العجيبة كلّ ذلك كان مقروناً بطهارة وقداسة حياة ليس وراءهما من مزيد . وكان يشعر تلاميذهُ بذلك البرّ العظيم فيصرخون كبطرس (لو ٥ : ٨) : « أُخرج عني يارب فاني رجل خاطئ » او كقائد المئة (متى ٨ : ٨) : « يارب لستُ مستحقاً ان تدخل تحت سقف بيتي » . ومع ما كان الفريسيّون والكتبة يخترعونهُ من الشكايات الباطلة في حقهِ لم يخفْ ان يحتجّ على كذبهم علانيةً ويفحمهم بقوله (يو ٨ : ٤٦) : « مَنْ منكم يثبت عليّ خطيئة » . فهذا لعمري كلام لا يقولهُ الّا من وثق من نفسه تام الفضل والبرارة لاسيما بازاء قوم معادين يطلبون ادنى هفوة ليهلكوه . بل اقرّوا بكمالهِ في كل اعمالهِ غير مرةٍ كقولهم (مرقس ٧ : ٣٧) : « لقد احسن فيما صنع » ومثل ذلك قال تلميذا عمواس (لو ٢٤ : ١٩) : « كان يسوع الناصريّ رجلًا نبياً ذا قوّة في العمل والقول امام الله والشعب كلّه » وكقول صاحب سفر الاعمال (١٠ : ٣٨) : « اجتاز يسوع يُحسن الى الناس »

فليقم الآن كل مُنصف وليقُلْ لنا أيوجد في العالم ام وُجد قطّ مثالٌ من قداسة الحياة وطهر السريرة كمثال السيّد المسيح . نعم اننا لا ننكر انهُ وُجد احياناً قديسون عظام شهدت التواريخ على سامي فضلهم ولكن اين ذلك من قداسة السيد المسيح التي من فيضها نالوا ومن نورها اقتبسوا وان كانوا اضحوا قدوة لغيرهم بحسن اعمالهم فما ذلك الّا لكونهم تعقّبوا آثار المسيح فكلّ منهم يقول كبولس الرسول (١ كور ٤ : ١٦) : « اسألكم ان تقتدوا بي كما اقتدي انا بالمسيح » . ولولا المسيح لأَثقلهم عبء خطيئتهم فيصرخون كالرسول عينهِ (روم ٧ : ٢٠) : « الويل لي انا الانسان الشقيّ من ينقذني من جسد الموت هذا »

والحقّ يقال ان يسوع وحدهُ المثال الكامل الخالي من كلّ نقص الذي اعطاهُ

الله للبشر ليقتدوا بهِ ويرسموا في قلوبهم فضائلهُ . فانَّ الآب السماوي اذ أسمع صوتهُ من الغمام قائلاً « هذا هو ابني الحبيب » اردف ذلك بقوله « أيّاه اسمعوا » اراد بهِ على ما شرحهُ الآباء ان نُصغي الى تعاليمه ونقتفي بآثارهِ . لانَّ الله يوم الدين سيميّز مختاريهِ على حسب الشبه الذي يراهُ بينهم وبين ابنه الالهي كما قال الرسول (روم ٨ : ٢٩) : « انَّ المختارين الذين سبق الله فعرفهم سبق فحدَّد ان يكونوا مشابهين لصورة ابنهِ حتى يكون بكرًا ما بين اخوة كثيرين »

ثم انَّ الربَّ يسوع نفسهُ لم يأت في حياتهِ كلَّ ضروب الفضائل الّا لنقتدي بها فيقول لنا كما قال لتلاميذهِ (يو١٣ : ١٥) : « اني اعطيتكم قدوةً حتى انَّكم كما صنعتُ انا بكم تصنعون انتم ايضاً » وكما قال ايضاً (متى ١٧ : ٢٠) : « تعلَّموا مني ... »

وقد جرت الكنيسة على هذا التعليم فانها في كلّ اسرارها وكلّ ارشاداتها وكل عنايتها لا تنوي الّا امرًا واحدًا ان تطبع صورة المسيح في اولادها فتقول لكلّ منهم قول الرسول (غلاطية ٤ : ١٩) : « يا بُنيَّ الذين اتمخّضُ بهم مرةً أخرى الى ان يتصوَّر المسيح فيهم »

فلذلك ترى انَّ شخص المسيح منذ ظهر في جبال يهوديَّة قد اضحى قُبلة كلّ الشعوب . اليه توجه كلّ النفوس بأبصارها لتقتدي به بحيث يجوز ان يقال ان كل ما ظهر من الصلاح منذ عشرين جيلًا على الارض اصلهُ المسيح . وقد اقرَّ بذلك احد كبار الزنادقة انفسهم . قال ڤولتير إمام الملحدين : « ليس بين كلّ الحكماء الاقدمين رجلٌ واحد امكنهُ ان يؤثّر في آداب الذين يقطنون في حيّه قريباً منهُ اما السيد المسيح فانّهُ أثّر في العالم كلّه (١) »

فهذا هو المثال الذي قصد الاقتداء به الحواريّون لمّا طافوا العالم وتجشّموا كل الاخطار ليقيموا دعوتهُ . هو المثال الذي نصبهُ امام عيونهم الوف الالوف من الزهاد في البراري والقفار فنبذوا الغنى واللذّات وعاشوا في جسم بشريّ عيشة ملائكيَّة .

(١) هذا هو كلامهُ في الحرف Aucun sage n'a eu la moindre influence sur les mœurs de la rue qu'il habitait, et Jésus-Christ a influé sur le monde entier (Voltaire)

هو المثال الذي سند الشهداء الذين أدّوا للمسيح شهادة الدم في كل انحاء المعمور فساروا الى الموت سَيْرَهم الى ألذّ الولائم واشهى المسرَّات · هو المثال الذي استنزل الملوك عن عروشهم لينقطعوا الى اعمال البرّ · هو المثال الذي يريد التشبُّه به ذاك العدد الموازي لكواكب السماء من الرهبان والراهبات الذين يتفانون في تلطيف كل الاسقام البشرية من معالجة امراض شتّى كالسلّ والبرص والجنون وخدمة العجزة وحضانة اللقطاء وتربية الايتام وتهذيب الناشئة

· وكما كان المسيح مثال كل الازمنة هو ايضاً قدوة كل اطوار حياة الانسان فالى يسوع الطفل ينظر الصغير في حجر والدته وباسمه يلهج اذا تحرَّك لسانه وحذوهُ يحذو اذا بلغ سنّ الرشاد · ثمّ يسلك مناهجهُ اذا ترعرع ويأتسي بامثاله اذا بلغ أشُدَّهُ وخاض غمرات الحياة وساوَرَتهُ خطوب الزمان · يجد الفقير فيهِ اسوةً في ضنك عيشه وبنوره يستضيء الغنيّ لئلا يجعل في الغنى أملهُ · العَمَلة يقتفون معالمهُ ليقدّسوا اشغالهم اليوميَّة · والائمة يهتدون بهِ ليحسنوا رعية مرؤوسيهم ويعاملوهم مثلهُ بالرفق والرحمة والاناة · آثارهُ يقتصُّها الرهبان في زهدهم · وعلى مثاله يجاهد المضطهدون والمجرَّبون من العالم والشيطان · تحت كنفه يدخل المواليد في ميدان الحياة وبين يديه يسلّم للدنفون على الموت ارواحهم بكل ثقة

وبما بحث الانسان على سرّ هذه القوَّة العجيبة لا يجدها الّا في لاهوت يسوع فلو كان المسيح انساناً محضاً لأصبح اسمهُ منذ قرون عديدة نسياً منسيّاً وتراهُ كل يوم يزداد عظمة وارتفاعاً في اربع خوافق العالم اذ « ليس بأحدٍ غيرهِ الخلاص لانهُ ليس اسم آخر تحت السماء ممنوحاً للبشر به يخلصون » (اعمال ٤ : ١٢) . فلا بُدَّ « ان تجثو لهُ كلُّ ركبةٍ مما في السماوات وعلى الارض وتحت الارض ويعترف كلُّ لسان انَّ الرب يسوع المسيح هو في مجد الله ابيه » (فيلبي ٢ : ١٠–١١) (لهُ بقيَّة)

مطبوعات شرقية جديدة

E. J. W. GIBB MEMORIAL: XVI., Ta'rikh-i-Jahan Gusha of Juwayni, ed. by **Mirza Muhammad Qazwini**, 1912, XCIII-٢٩٢+ لكم = XIX The Governors and Judges of Egypt by el-Kindi ed. by. **Rhuvan Guest**,. 1912, pp. 72 + ٦٨٣ = XX The Kitab al-Ansab of al-Sam'ani, reproduced in facsimile by **D. S. Margoliouth**, 1912. 7 + ff 603

مطبوعات جديدة لجمعيَّة جيب

هذه ثلاثة كتب نفيسة اتحفتنا بها عمدة الجمعيَّة المنسوبة الى جيب وقد انتهت من طبعها حديثاً

(الاوّل) تاريخ فارسي عنوانهُ جهان گشاى اي فاتح الدنيا لعلاء الدين عطا ملك جويني ّ المولود سنة ٦٢٣ هـ (١٢٢٦ م) المتوفى سنة ٦٨١ هـ (١٢٨٣ م) احد كتبة ملوك المغول . ضمَّنهُ تاريخ جنكزخان وغزواتهِ وفتوحاتهِ في القرن الثالث عشر . وتاريخهُ معدود في جملة اصدق الآثار لكثرة علمهِ واختلاطهِ بالاعمال الديوانيَّة وقربهِ من الامور التي حاول وصفها . وهذا الكتاب قد استفاد منهُ عدَّة مؤلفين اوربيين اخصُّهم البارون دأوهُسن (B^{on} C. d'Ohsson) لكنَّهُ لم يُنشر سابقاً منهُ الَّا فقرات فاستحقَّت لجنة جيب شكر المستشرقين بطبعها الكتاب على ذمَّتها طبعاً متقناً . وقد عُني بنشر الاصل احد علماء فارس محمَّد مرزا القزويني ّ . وزادهُ نفعاً جناب الاستاذ بِرَوْن (E. G. Browne) بتصحيحهِ وتقديمهِ عليهِ المقدَّمات الواسعة بالانكليزيَّة والفارسيَّة لتعريف المؤلف ووصف تاريخهِ والمخطوطات الباقية منهُ . وقد ذُيّل النصّ الفارسي بالروايات وأُلحق بفهارس لاعلام الرجال والاماكن والقبائل والكتب المذكورة في التاريخ . جازى الله خيراً كلّ من سعى بنشرهِ وكمال اهبتهِ

والكتاب (الثاني) اعظم شأناً لاهل بلادنا وهو كتاب الولاة وكتاب القضاة لابن عمر عبد الكندي وصفنا قسماً منهُ طُبع سابقاً في نيويرك بهمَّة جميَّة مكميلّان ومساعي الدكتور كوننيغ (راجع المشرق ١٢ (١٩٠٩) : ٢٣٠) وقد نبَّهنا هناك انَّ العالم الانكليزي غست (R. Guest) يُعنى ايضاً في طبعهِ وها هوذا قد انجز عملهُ فجاءت طبعتهُ كاملةً لا ينقصها شيء من اسباب الكمال . فالقسم العربي ّ قد كُثر

في مطبعتنا على ورق صقيق وبحرف مشرق مع ملحوظات عديدة في ذيل الكتاب وملحقات فريدة من كتب عزيزة الوجود · ضاعفت فوائد الاصل وهو اقدم تاريخ يُعرف لمصر ولولاتها في القرون الاولى للهجرة · وهناك مقدّمات انكليزيّة غاية في الافادة طُبعت في لندن ولم ينس حضرة ناشر الكتاب ان يزين كتابهُ بالفهارس الواسعة وبجدول الالفاظ الغريبة التي وردت في تاريخ الكندي ·وفيهِ ايضاً خارطتان بديعتان تعينان على مراجعة اسماء البلدان التي ذكرها المؤلف في مصر وفي بقيّة المملكة العبّاسيّة فما قلنا في اطراء الكتاب كان دون حقّهِ

امّا الكتاب (الثالث) فهو ايضاً من اجلّ الكتب وانفعها وهو كتاب الانساب للقاضي ابي سعيد عبد الكريم السمعانيّ (٥٠٦–٥٤٧ هـ = ١١١١ –١١٥٢م). فمؤلّفهُ الشهير يتتبع الاعلام على حروف المعجم ويضبط انسابها ويذكر من اشتهروا بالنسبة اليها · وهو كتاب ضخم ينيف على ١٢٠٠ صفحة وفي الصفحة ٣١ سطراً تامّاً فلو طُبع على الحروف لأتى عدّة مجلدات فنشرتهُ جمعيّة جيب بالصورة الفوتغرافيّة على نسخة المتحف البريطاني بعناية المستر اليس (A. G. Ellis) ناظر الديوان الهندي (India Office) في لندن وقدّم عليهِ الاستاذ مرغليوث مقدّمة انكليزيّة في اربع صفحات ·ولكن لسوء الحظّ تنقصهُ الفوائد التي في بقيّة مطبوعات جيب من فهارس وملحوظات ولعلّهم يفعلون بعد ذلك جعلهم الله مورداً للعلوم ل·ش

Mgr Douais, ÉVÊQUE DE BEAUVAIS : La Communion des Enfants à l'âge de discrétion. *Bloud et Cie, Paris,* 1913. pp. 78

مناولة الاحداث البالغين سنّ الرشاد

لمّا اصدر سنة ١٩١٠ المجمع المقدّس بمصادقة الحبر الاعظم بيوس العاشر القرارات التي بدؤها (Quam singulari) المختصّة بالمناولة الاولى الواجب منحها للاحداث عند بلوغهم سنّ الرشاد رأت بعض الكنائس في هذا الامر غرابة الّا انّ اللاهوتيين وعلماء التاريخ الكنسي تلقّوهُ بملء الفرح واثبتوا مطابقتهُ التامّة لتعليم الانجيل الطاهر وللتقاليد الكنسيّة القديمة · وممّن كتبوا في ذلك المناشير البليغة الواسعة السيّد دواي اسقف بوفه في فرنسة فكان لكلامهِ احسن وقع بين اكليروس وطنهِ وسائر الكاثوليك · فانّهُ لم يدافع فقط عن صوابيّة اوامر الكرسي

الرسولي وموافقتها لآيات الاسفار المقدَّسة وعادات الكنيسة الاولى بل اثبت ايضاً ما ينجم عنها من سوابغ النعم لحفظ براءة اولئك الصغار الذين دعاهم السيّد المسيح اليهِ وزجر تلاميذهُ لمّا ردُّوهم عنهُ . فانَّ جسد الربّ هو للاحداث انجع دواء لما فيهم من الاميال المنحرفة وافضل وسيلة لصون طهرهم وطبع الفضيلة في قلوبهم وعليهِ يجب على الوالدين وعلى المعلمين والآباء الروحيين ان يمتثلوا احكام الكرسي الرسوليّ بكل دقَّة وينبذوا كلّ العادات الجارية على خلافها ويهيّاوا للاولاد عند بلوغهم سنّ التمييز التقرُّب من ذاك السرّ المحيي والمنّ الالهيّ الذي يقوّي نفوسهم ويردّ عنهم غارات العدوّ الجهنمي وهو يسعى في ذاك المقام الحرج ان يسقطهم في اشراكهِ . فنشكر المسيو باود لطبعهِ هذا المنشور على صورة كتاب ادخلهُ في مجموعهِ المعنون بالابحاث اللاهوتيَّة . لكنَّنا لحظنا في كلام سيادتهِ انَّهُ نسب الى بعض الكنائس الكاثوليكيَّة في الشرق جريها على عادة مناولة الاطفال قبل ادراكهم سنّ التمييز (ص ٣ و٦٥) وهو امر قد بطل منذ زمن طويل كما هو معلوم

الاب ج . لوقنك

Hern D. W. Myhrman's Ausgabe des Kitāb Mu'id an Ni'am wa Mubid an Niqam kritish beleuchtet von K. V. Zetterstéen, *Upsala and Stockholm*, 1913, pp. 64

انتقاد طبعة كتاب معيد النعم ومبيد النقم للسبكي

ذكرنا سابقاً في المشرق سنة ١٩٠٩ (١٢ : ١٧٤) طبع هذا السفر الجليل وعناية طابعهِ في نشرهِ . وقد دوَّن المستشرق تسترستين عدَّة ملحوظات مفيدة انتقاداً على هذه الطبعة بعد مراجعتها على نسخ خطيَّة وها هو قد نشرها لافادة الذين يحبُّون التدقيق والضبط في هذه الآثار القديمة . وسيتلقّى العلماء هذه الانتقادات بالشكر لصاحبها

كتاب التعليم الصغير

بقلم الاب يوسف علوان اللعازري

طبعة ا . موريس وشركائه بالاسكندريَّة (ص ١١٥)

يستفاد من مقدَّمات هذا التعليم انهُ الجزء الاوَّل من مختصر الديانة للصفوف الاوَّليَّة اللهُ وبهِ من قداسة البابا بيوس العاشر لجميع ابرشيَّات اقليم رومية وانهُ نُشر

بامر سيادة النائب الرسولي للاتين والقاصد الرسولي للشرقيين. فكفى بذلك شاهدًا على ضبط معلوماتهِ وقد زاد حضرة المعرِّب عليهِ بعض اللحوظات في ذيلهِ . وكان الجدير بهِ ان يزيد في الصفحة ٥٨ تنبيهاً الى الترخيص للمرضى بالمناولة دون الصوم بعض الاحيان اذا طال مرضهم او وجب عليهم شرب الدواء . امَّا الصوم الذي اوجبهُ (ص ٨٣) على الشرقيين منذ سنّ التمييز فليس هو مقرَّر وعلى كلّ حال قد اتَّفق آباء مجمع الشرفة والاقباط على تعيين السنة ٢١ للقيام بفريضة الصوم ل٠ش

تاريخ الحرب البلقانيَّة

بقلم سليم العقَّاد . الجزء الاوَّل يشتمل على خريطتين و١٤ رسماً
مطبعة الهلال بالفجَّالة سنة ١٩١٢ (ص ١٢٢)

انَّ الحرب البلقانيَّة التي انفجر بركانها في العام الماضي ولا يزال حتى الآن يُسمع دويُّها المرعب اوقفت انظار العالم كلِّهِ وقد احبَّ اهل بلادنا لو جُمعت تفاصيلها في كتاب منقود يُرجع اليهِ في ماجريَّات تلك الحرب . فاجابةً لرغوبهم نشر الكاتب الاديب سليم العقَّاد هذا التاريخ وقدَّم عليه فصولًا مفيدة في تعريف شبه جزيرة البلقان واقسامها ووصف الامم التي تتزاحم في ملكها من بلغار وصرب ورومان والبان وجبليين ويونان . ثمَّ تخطَّى الى شرح اسباب الحرب الاخيرة بعيدةً كانت كالمسألة الشرقيَّة او قريبةً كهضم حقوق المتحالفين . حتى بسط بعد ذلك احوال المتحاربين من جيوش وقوَّاد وأدوات حربيَّة . والقسم الاخير من الكتاب يشمل الوقائع التي جرت بعد اعلان الحرب بين الاتراك والمتحالفين ولا سيما البلغار وينتهي بفتح قرق كليسه ووصف المعارك المنشبة في اواخر تشرين الاوَّل والعشر الاوَّل من تشرين الثاني . وقد زاد المؤلف كتابهُ حسناً بما اودعهُ من خوارط الحرب وصور ملوك الحلفاء واركان الجيوش مصدَّرة بصورة « المؤرخ الكبير جورجي بك زيدان منشئ مجلَّة الهلال » الذي قدَّم لهُ المؤلف كتابهُ تنويهاً بفضله ل ٠ ش

الاعتقاد تجاه العقل والعلم

مجموع خطب ألقاها في بيروت سنة ١٩١١ الخوري لويس دريان
الجزء الاوَّل . طُبع في مطبعة النهضة (بيروت) ص ١٥٦

كنَّا اثنينا على قسم من هذه الخطب التي نشرها سابقاً حضرة المؤلف وهو اليوم

قد انجز ما بقي منها وهي ثلث خطب نفيسة في الدين الطبيعي والدين الوحي والديانة المسيحيّة جعلها كتتمّة البناء الادبي الذي اراد تشييده في المعقول بعد وصفه للارتياب العصري واثباته لوجود الخالق وبيانه للوفاق بين العقل والعلم . وقد لزم الخطيب في كل هذه الخطب خطّة واحدة اي تأييد مواضيعه بالادلّة العقليّة والنقليّة والردّ على اعتراضات المعترضين وذلك على طريقة مصاقيع الخطباء مازجاً بين اللذيذ والمفيد، القريب والبعيد . البسيط والبليغ مع تفكيه المخيلة بالتشابيه المبتكرة وتحريك العواطف بالامثال المنيرة والاوصاف المؤثرة فهذه الخطب حريّة بان تكون في ايدي كل من يرغب في معرفة اصول الدين الثابتة واركانه المتينة . وفي عدد آخر نذكر ان شاء الله محاسنه المدوّنة « بالرسالة » التي نرحب بها هذه المرّة فقط ل . ش

كتاب الفلسفة النظريّة

للكردينال مرسيه . عرّبهُ وعلّق حواشيه الخور اسقف نعمة الله ابي كرم

قسمان : المجلّد الثالث في علم اليقين = المجلّد الرابع في علم النفس

طُبع في المطبعة العلميّة على نفقة الاديب يوسف صادر ويباع في المكتبة العموميّة (١٩١٢)

سُرَّ السوريّون عموماً والموارنة خصوصاً بترقية سيادة الخور اسقف نعمة الله ابي كرم حديثاً الى درجة الاسقفيّة في رومية العظمى بعد ان تولّى فيها بضع سنوات رئاسة المدرسة المارونيّة بحكمة ودراية وكنّا عرفناه قبلها منذ ثلاثين سنة رجل فضل واسع وعلم راسخ تعدّدت آثارهما بعد ان تخرّج سيادته في مدرستنا في غزير فتفرّغ للتعليم وللكتابة في كليتنا ثم صنّف المصنّفات المستجادة وعُهد اليه تدبير المدارس . فلا عجب لأنْ قدّر الكرسي الرسوليّ كل هذه الآثر فاجازها بالمنصب الرفيع الذي دُعي اليه . وتعريب سيادته لكتاب الفلسفة النظريّة للكردينال مرسيه هو من اجل خدمه العلم . وقد وصفنا سابقاً القسمين الاولين . وفي يدنا القسمان التابعان ومدارهما على علم اليقين وعلم النفس . وفي كليهما من الابحاث العامّة والخاصّة ما يترق الى معرفته الذين لا يقنعون بظواهر القشور ويتعمّقون في جواهر الامور لئلّا يصبحوا لعبةً في ايدي السوفسطائيين الذين شوّهوا بتمويهاتهم وجه الحقّ . وقد امتاز الكردينال مرسيه بدرس المذاهب الفلسفيّة المستحدثة والتمييز بين غثّها وسمينها . ولم يكتفِ سيادة المعرّب بضبط ترجمة الاصل لكنّهُ علّق ايضاً عليه الحواشي المفيدة

وذيّلة باللحوظات المهمّة . فنحضّ اهل بلادنا على درس هذا التأليف وتدريسهِ لانهُ جمّ الفائدة خصوصاً كتاب علم النفس الفنيّ بالمسائل العصريّة التي يخبط فيها كثيرون ممّن لم يعرفوا حقيقتها ل . ش

شذرات

نحن والتقليد قالي ابن الصبر — سُرّ قرأنا بنظم الاديب الياس افندي مسابكي الذي نشرناهُ في احد الاعداد السابقة عن الغلاء وسوء الحال . وهاهوذا اتحفنا بمثل آخر من اقوالهِ في اللغة العاميّة من تقليد اهل بلادنا للاجانب : اصغوا لي ذوي الافكار لتحكي بالحريّه التقليد عمّ الاقطار وصرنا بحاله فقريه

١ التقليد عمّ الاقطار خصوصاً عنّا بوسط الشام
حتى بالمدارس صار التقليد ماشي تمام
صاروا يلبسوا الصغار آخر طرز يا سلام
بدلة كحلي وفيها زرار كل زر بستين مصريه

٢ عل خصر لازم زنّار من الجلد آخر موضه
وبرنيطة قش بكتار شريطه عليها عطوطه
وقبّه مكويه على النار وقطة رقبه مربوطه
ويحكمو حكم الجزّار ليلبسوهم بسويه

٣ متى ما صارو شباب تشوف الاغلب طفرانين
الربع يشتغلو كتّاب والبقايا بطّالين
وان حاكيتهم بالصواب يقولوا عنّا خرفانين
ينسو الصرف والاعراب ويحكوا بلغه فرنجيه

٤ المستخدم باربع ليرات يلبس مرانه حرير
يشتري من الخيّاطات الذراع بليره بالتقدير
يقلّد البكاوات حتى الباشا والوزير
وان قصّر تقول له هات لي بسعر الافنديه

٥ تقول له بدّي اجيره   وبدّي اجير لمراض السوق
وبدّي كورسه قصيره   وفسطانين يكونوا عالذوق
وبدّي مشاط بتحجيره   وبدّي حلق وبدّي طوق
يا ما تعمل الغيره   هلكت ناس بعدّيه

٦ وخصوصاً لبس البنات   ما عاد لحّق الشغّيل
البرنيطه باربع ليرات   والفسطان من صوف تقيل
رادنكورت يا بابا هات   بالبلد ما له مثيل
صار بدهم كشة ليرات   وما في منهم مصريّه

٧ ثلمني يليق الصروف   لو صرف الفين دينار
ايراده من جنس الصوف   الفين باله قول اكثر
املاكه تُعَدّ الوف   وحوانيته للايجار
ثمّن بايراده وشوف   ما يصرف ربع اليّه

٨ والمحتاج يعطوه رحمات   يعرفوه انه فقير
والتوسط حاله مات   وحقه الافلاس والتكسير
ان قلّد البكاوات   وان صرف مثل الامير
بعده لازمه نذّابات   تندب حالته الحزينه

٩ انا انصحك يا بيك   ان تبطّل التقليد
عاقد فراشك مدّ رجليك   ساعتها تكون سعيد
معاشك يصير يكفيك   وتشوف عمرك عمّا يزيد
وما في انسان يضاهيك   وتعيش عيشه هنيّه

الرسالة الكاثوليكيّة في مادورة — ذكرنا في رحلتنا الى الهند بالاجمال حالة الكنيسة الكاثوليكيّة في الهند . واليوم قد افادتنا احدى المجلّات الهنديّة انّ في اقليم مادورة وحده بلغ عدد الكاثوليك في آخر سنة ١٩١٢ ٢٦٠,٠٠٠ يُعنى بهم نحو مئة مرسل من الرهبانيّة اليسوعيّة التي دخلت في السنة الخامسة والسبعين ،منذ عُهدت الرسالة الى عنايتها . ولهذه الرسالة مدرسة كبيرة اعظم من كليّتنا في بيروت عدد تلامذتها ٢٠٥٠ اثنات على رقيها الحكومة الانكليزيّة

مراراً . ولها ٣٢٨ مدرسة ابتدائيّة للذكور عدد تلامذتها الكاثوليك ٨٧٥١ والوثنيين ٥٢٦٣ والمسلمين ٢١٨ والبروتستانت ٢٥ . ثم سبعة مدارس ثانويّة للذكور ايضاً يتلقّى فيها العلوم ٦٠١ كاثوليكيّ و٧٢٣ وثنياً . ولها ٤٠ مدرسة ابتدائيّة للاناث بينهنّ ٢٨٥٨ كاثوليكيّة و٥٧٠ وثنيّة و٢٨ مسلمة وسبع مدارس ثانويّة تحضر دروسها ٥١٥ كاثوليكيّة و ٢١٨ وثنيّة . وللرسالات مطبعة للغات الهنديّة ومرصد فلكيّ . ومن اجل اعمال الرسالة عناية المرسلين بتبشير البراهمة . والكاثوليك وحدهم لمكنهم حتّى الآن ان يغلبوا تعصّب البراهمة فنصّروا منهم عدداً صالحاً رجالاً ونساء

☙ تجارة الولايات المتحدة ❧ بلغت تجارة الولايات المتحدة في العام الماضي مبلغاً عجيباً فكانت صادراتها الى الخارج اثني عشر ملياراً من الفرنكات ووارداتها ثمانية مليارات بزيادة اربعة مليارات في الصادرات . والأمل انّ هذه الحركة التجاريّة تزيد كثيراً في العام الجديد لاسيا عند انجاز الاميركان لترعة بناما وقد اتفقوا على تدشينها في ٢٥ ايلول من السنة الجارية وفيه تذكار السنة الرابعة لاكتشاف الاسبان لاوقيانوس الهادي — وممّا يدلّ على تقدّم الولايات المتحدة نموّ اساطيلهم البحريّة ولما جرى في العام المنصرم معرض السفن الحربيّة الاميركيّة كان عددها بين كبيرة وصغيرة ومدرّعات الدردنوط والغوّاصات ١٢٣ سفينة وبحّارتها ٢٦٠٠٠ تحت نظارة الف ضابط

☙ فائدة في القصّاد الرسوليين في سورية ❧ لمّا سبقنا وكتبنا مقالتنا عن القصادة الرسوليّة في سوريّة المشرق ١٢ (١٩٠٩) : ١٢) ذكرنا بين قصّادها المؤقّتين الاب دلسيداريوس رئيس الاراضي المقدّسة الذي اوفده الكرسيّ الرسولي بتّ الحكم في قضيّة صور القديس مارون . وقد افادنا حضرة القس لويس بليبل اللبناني في مجلّة كوكب البريّة أنّه اكتشف منشوراً في دير مار الياس شوايا لمجمع عقد في ١٠ نيسان سنة ١٧٤٧ بحضور الاب دلسيداريوس المذكور بصفة قاصد رسوليّ والسيّد البطريرك سمعان عوّاد تأيّدت فيه ثلاث قضايا اولها ثبوت المطارين في ابرشياتهم . وثانيها المحافظة على الرتب الكنائسيّة بلا تغيير . ثالثها تفويض السيّد البطريرك باختيار ايّ وكيل اراد له . والمنشور مصادق عليه من تسعة اساقفة

المصلحون السوديون وما ادراك من هم ! اصحاب جريدة المهذّب المتسمية الى بولس افندي الكفوري المحروم وكل من كان على شاكلتهم ممّن نسوا الخشبة المعترضة في عيونهم ليروا القذى في عيون ارباب الكنيسة فبلعوا الجمل وصفّوا من البعوضة وهم لا يزالون يصرخون « الاصلاح الاصلاح » على شرط ان لا يعالج سقمهم طبيب . ومن جملتهم معرّب مقالة النهضة الاصلاحيّة اسعد افندي صابات الدمشقي الذي ابى اكليروس طائفتهِ الفضلاء ان يوافقوهُ في مخالفة سنن البيعة فظنّ انهُ ينتقم منهم بتعريب مقالة لاحد اعداء الدين في الاضاليل العصريّة او الموديرنيسم ويا ليتهُ عرّب شيئاً حديثاً لكنّهُ اخذ مقالة كُتبت منذ خمس سنوات اذ كان وطيس الجدال حامياً وهو اليوم قد خمد بعد ان فازت الكنيسة بانتصر على خصومها كمألوف عادتها جاء تعريب اسعد صابات « كالخردل في آخر العداء » كما يقول الفرنج اعني في غير وقتهِ بعد ان كسر حكمُ الكرسيّ الرسولي نخوة بعض المتمرّدين الذين ذهبت مساعيهم ادراج الرياح والكنيسة في عزّها ورقيها الدائم تسخر من قوّات الجحيم وفشل معاديها . فخطئتَ الحفرة يا اسعد افندي !

الدروس العليا في كليتنا لمّا أُنشئت كليّة القديس يوسف في بيروت سنة ١٨٧٤ لم يكن فيها من العلوم العليا سوى اللاهوت والفلسفة فنالت من مكارم الحبر الاعظم لاون الثالث عشر الرخصة بمنح شهادتي الملفنة والملفنة فيهما لمستحقيها . وفي السنة ١٨٨٣ انتدبت الوزارة الفرنسويّة رؤساء رسالتنا الى انشاء مكتب طبي كفرع يلحق بالكليّة (راجع تاريخهُ في المشرق ١٩٠٨ (١١ : ٣٤١— ٣٥٤) ولا يخفى ما نالهُ من الامتيازات من فضل الدولة العليّة والدولة الفرنسويّة معاً . ثم تكرّمت الحكومة الفرنساويّة على الكليّة بان رخّصت لها بمنح شهادة البكالوريا لمن اتمّوا دروسهم الثانويّة فيها ونجحوا في الامتحانات الكتابيّة والشفهيّة المفروضة عليهم . وفي السنة ١٩٠٣ أُلحق بالكليّة فرع آخر وهو المكتب الشرقي لدرس الآداب الشرقيّة الخاصّة . ولهذا المكتب نشرةٌ علميّة ظهر منها الى الآن سبعة مجلّدات ضخمة . وفي المدّة الاخيرة قد نالت كليّتنا انعاماً جديداً لتوسيع نطاق دروسها العليا نريد بهِ انشاء مكتبين مهمّين واحد للحقوق وآخر للهندسة يكونان تحت نظارة كليّة ليون الفرنساويّة فاصبحت بهما كليّتنا جامعة لفروع العلوم العالية

اسئلة واجوبة

س كتب من الخرطوم حضرة القس يوسف غبريل الشبابي. ما حرفهُ : « طالما البابا هو رئيس الكنيسة شرقاً وغرباً لماذا لا يدخل في انتخابهِ آباء شرقيُّون . ثمَّ لماذا لا يُنتخب كرادلة من الشرقيين

الشرقيُّون في انتخاب الباباوات وفي مصفّ الكرادلة

ج لا مانع البتة من ان يشارك الآباء الشرقيُّون اخوتهم الغربيين في انتخاب رؤساء الكنيسة الاعظمين وانما ذلك مقيَّد بقوانين وشروط قلَّما يقوم بها اهل الشرق وذلك خصوصاً لقلَّة الكاثوليك الشرقيين فانهم بالنسبة الى عدد الغربيين كنسبة الواحد الى الثلاثمئة . ومعلوم ان عدد الكرادلة لا يتجاوز السبعين . فان كثر يوماً عدد الشرقيين بارتداد المكوب والروم جاز ان يُنتخب بعض من الشرقيين للمنصب الكردينالي واذا ما نال احدهم اغلبيَّة الاصوات صار حبراً اعظم . ولا يُخفى انهُ وجد في القرون المسيحية الاولى الى القرن التاسع عدَّة باباوات شرقيين بينهم يونان وسوريُّون كتب عنهم فصولاً المرحوم الاب ا. ربّاط في مجلة الكنيسة الكاثوليكيَّة . وقد ذكر المشرق في مقالتهِ عن رسول الاتحاد بين الكنيستين اي بساريون انَّ هذا البطريرك اليوناني ورصيفهُ ايزيدور رئيس اساقفة كياف السكوفي رُقيا الى رتبة الكرادلة . وكاد ينال بساريون في احد الانتخابات عدد الاصوات القانوني البابويَّة وممَّن رقي في زماننا الى مقام الكرادلة غبطة بطريرك الارمن انطون حسُّون سنة ۱۸۸۰

س وسأل من دمشق جناب سابا افندي مخائيل سيوفي بماذا يمتاز البطريرك الانطاكي الملكي عن البطريرك الانطاكي الماروني وعن البطريرك الانطاكي السرياني

امتياز بطاركة انطاكية

ج ان كتاب نظام الكنيسة الكاثوليكيَّة (Gerarchia Cattolica) الذي يطبع كلّ سنة في رومية لا يجعل امتيازاً بين بطاركة انطاكية وانَّما ينظمهم على حسب زمن انتخابهم . امَّا تاريخياً فالبطاركة الملكيُّون اقدم من الجميع كما هو معلوم اذ كانوا قبل تفرُّع الطوائف وانقسامها في القرن الخامس ل . ش